

المصفاة

مجلة

المجلد الحادي والعشرون
الجزء الخامس



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر



تابعوا ...

WWW.ALUKAH.NET

(الجزء الخامس) ٢٢٥ (المجلد الحادي والعشرون)

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

المعراج
١٣١٥

فمن عادى الدين يستمون الدين فيتمون أحسنه
ولئك الذين هداهم الله وولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن الله -لا- سوى و «منارا» كنار الطريق

٢٩ ذي القعدة ١٣٣٧ - ٢ السنبلة (ص ٣) ١٣٩٧ هـ ش ٢٦ أغسطس ١٩١٩

٢٢٦ ذات بين الحجاز ونجد أو الخزرة والوهابية والمدنية : النار : ج ٥٠ م ٢٠

ذات بين الحجاز ونجد أو الخزرة

والوهابية والمدنية

في هذا الصيف كثر خوض الجرائد الاوربية والعربية المصرية والسورية في المسألة العربية وذكرت أنه وقع بين الوهايين التابعين لابن سعود أمير نجد والحجازيين حرب صليبا الخلاف في المذهب اتصروا فيها الاولون انتصارا قويا في (تربة) فنكسوا بجيش الامير عبد الله نجل ملك الحجاز وأخذوا جميع ما كان معه من المدافع والسلاح والقنائر ثم أذيع انهم احتلوا مكة المكرمة وان ملكها لما شعر بقرب وصولهم اليها أخلاها لهم وسافر الى جدة فأقام فيها واستجار بمليقته بريطانية المعظمي . وكثر حديث الناس في هذا المعنى وكان مما ذكرته هذه الجرائد أن الوهاية مصاحبون في الاسلام . وتربة هذه (بعجم ففتح قرية في الشرق الجنوبي من مكة والطائف وفي الغرب من وادي تربة الشهر الذي قال فيه صاحب معجم البلدان انه واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها .

أما أخذ نجديين مكة المكرمة فهو كذب صريح بتكذيبه كل من الوكالة المصرية الماشية بمصر ودار الحياة الانكليزية ، وأم وقوع القتال وانكار جيش الامير عبد الله في (تربة) وأخذ جميع أمالحت فقد ثبت رسميا كما فصل في برقية وردت من عدن

وأما ما علمناه في المسألة من ثبات الضباط الذين كانوا في الحجاز وهم يرهم فهو ان النزاع والقتال كان بين حكومة مكة وبين الشريف خالد صاحب (الخرزة) وهي قرية في الشرق الشمالي من مكة قريبة من وادي تربة والشريف خالد هذا من شرفاء مكة وعشيرة الامارة فيها وكان قد استنجد لمساعدة الشريف علي هل ففتح المدينة المنورة فلي وهو الذي أمر أشرف بك أنشقى القديين الاتحاديين اذ كان رسلا يبلغ كبير من الجنيات الهيدية الى الامير ابن الرشيد ثم وقع الخلاف النفور بين الشريف علي قائد الجيش العربي المصم للمدينة المنورة وبين

الشريف خالد فعاد الثاني الى الحزرة وصار ملك الحجاز يرسل الحملة بعد الحملة قتاله فيظفر بها وينضم اليه الكثير من بدوها ويدخلون في جماعة الاخوان المدينة القدين تذكر خبرهم قريبا ، ولما سلم الترك المدينة المنورة الى جيش الامير هلي بعد عقد الهدنة بين الدولة العثمانية والصفاء الف الشريف عبد الله حملة من الجيش النظامي الذي كان محاصرا لها فيها هترات من الضباط زيدت مرتباتهم وجهزت بأنواع الاسلحة الجديدة من المدافع الجبلية والرشاشة وغيرها وبالديناميت . قال بعض الضباط القدين كانوا في الحجاز ان هذه اعظم حملة يمكن لحكومة الحجاز ان تكافح بها الشريف خالد فاذا كسرنا تيسر له الاستيلاء على مكة المكرمة اذا شاء ، ثم بلغنا ما تقدم من ان جيش ابن سمود هو الذي كسر الحملة ، ثم قل البنا ان الحملة المنظمة استظهرت على الشريف خالد قامها ملك الحجاز بالزحف على نجد فعند ذلك فارسل الامير ابن سمود بجيشه لقتالها فظفرت بها ، ثم زحفت تقصد مكة حتى قبل انها وصلت الى وادي اليبون وان ملك الحجاز استجد بالحكومة الانكليزية على ابن سمود ، فسأنت الامير ابن سمود عما يريد من الحجاز فأجاب بأنه هو احق بحكم الحجاز من شرفاء مكة وأن أكثر أهله يفضلونه عليهم لعلمهم بعده وشكواهم من ظلم جميع الشرفاء واستبدادهم مع ما كان من سيطرة الترك عليهم . وانه مع هذا لا يبغى الاستيلاء عليه وانما يطلب أن يكون (وادي تربة) هو الحد الفاصل بينه وبين نجد وأن تعترف به الحكومتان حتى لا تهدي واحدة منهما على ما وراءه وأن يكون لحكومة نجد معتمد في مكة المكرمة ينظر في مصالح رعاياها ويراجع حكومتها في شأنهم فان شريف مكة كثيرا ما يظلمهم وفي بعض السنين يصددهم عن اداء فريضة الحج فلا يسمح لهم بها . فرأى الانكليز أن هذين المطلبين حق فوعدوا ابن سمود بأن يتوسطوا بينه وبين ملك الحجاز فيهما بشرط أن يمتنع هو وجميع أتباعه من المدينة من الهدي على الحجاز . وبلغنا أيضا أنهم خاطبوا ملك الحجاز في ذلك قائلين أن يعترف لنجد لما يحدود أو يقبل منها معتمدا ، والظاهر أن الانكليز يظهرون لاسلامهم لاسيما في بلاد العرب

المتدينة والوهابية

يعلم الملايين من البشر بعضهم بالمشاهدة والاختبار وبعضهم بالروايات الثابتة بالذوات أن الأعراب (البدو) في أحجاز وغير الحجاز قد هادوا الى شرهما كانوا عليه في الجاهلية من الغزو والسلب والنهب والقتل حتى للحجاج المحرمين في أرض الحرم والأشهر الحرم وأنهم يستحلون ذلك ويسمونه كسبا، وأن لهم شرائع وأحكاما مرفقة مخزنة للشرع لا يرضون الحكم بدونها . وان أكثرهم لا يصلون ولا يصومون ومن يحج منهم لا يلتزم أحكام الشرع في الحج ولا يعرفها ولا يذمها الاحرام بالسج عن القتل والسلب والنهب ان قدر عليه . ولا شك في أن من كان كذلك فهو ليس بمسلم ولا ذي دين . هذا ما هو مشهور عنهم، ويظن كثير من الناس أنهم كانوا على ذلك وهذا خطأ عظيم فإنه يصدق عليهم في هذا العصر ما بينه الله عز وجل من - ال أسلافهم في عصر التنزيل وهو ان منهم الكافر والنافق والمؤمن الصادق . ولكن كفر الكافرين منهم كله أو جله عن جهل بضروريات الدين التي لا ينذر أحد بجهلها ، ولعله لا يوجد فيهم شيء من كفر العناد والجمود

وأما الذين هادوا الى الدين من أعراب الحجاز وما حوله فالفضل في هدايتهم لشيخ السنوية ودهاة علماء نجد . أما السنوبيون فقد كان لهم في نشر طريقتهم شرعة (أي نشاط وقوة) تلتها فترة . وأما التجديرون فقد بلغنا أن شرعتهم ونشاطهم بلغا أشدهما في هذه السنين الاخيرة ، ويسمون من يستجيب لهم المتدينة ، ويقال لهم من لا دين لهم يهتدون به وهم الذين لا يعرفون عقيدة الاسلام ولا شرائعه ويستبيحون الغزو والسلب والنهب لجرد الكسب ، وبلغنا أن الدعاة يبينون في دهرتهم هذه الحقيقة لكثف غرور من ظن من أمثالك الأعراب ان تسمية أنفسهم مسلمين يعني عنهم شيئا فيذكرون لهم أن الاسلام علم وعمل فمن لا علم له بحقيقة عقيدته - وأساسها التوحيد الخالص وتنزيهه لله تعالى ووصفه بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم - ولا بأحكام أركانه وشرائعه وأن من لا يأمن لاحكامه بعد العلم بها فليس منه في شيء . وان من مات من آباؤهم وأجدادهم غير عالم بذلك ولا مدعن له بالعمل من مستبيحي القتل والسلب فقد مات كافرا

[البنار: ج ٥ م ٢١] حال المدينة واشتراكياتهم. ما ينتقد على المدينة ٢٢٩

حال المدينة الدينية واشتراكياتهم الاختيارية

وبلغنا ان من استجاب دعوة هؤلاء الدعاة من الاراب يتوب عن الكسب بالفزوة والتمب ويتحولون عن البداة فيبنون البيوت ويفرسون الشجر ويزرعون ويأخذون بتعلم القراءة والكتابة حتى قبل التحضر قترام يحملون ألواح الكتابة على ظهور الابل يتعلمون بها، ولا يبعد ان نجد فيهم من يقول كما قال أحد أعراب شقيقه:

قد أخذنا ظهور العيس مدرسة بها ندين دين الله نبيانا

— وان التعاطف والتعاون بينهم يشبه ما كان في صدر الاسلام بين المهاجرين والانصار رضي الله تعالى عنهم فقد روينا عن أحد المختبرين من أهل مكة المكرمة ان الرجل منهم اذا كان عنده ألف شاة وكان يكفيه لنفسه وهيباله نصفها أو ربعها مثلاً فنه يذل البقي كله لمصلحة الاخوان

ولا يمكن حماهم على قتل أحد الا بحجة دينية فاذا قتموا بأن القتال واجب شرعاً وشرعوا فيه فانهم يندفعون بشجاعة واستبسال، وينفق كل في سبيله كل ما تصل اليه يده من المال، على حين نرى غيرهم لا يقاتل الا مأجوراً، فاذا وجد من يزيد في أجره على من يقاتل معه ليقاتله فعل.

وبلغنا أن دعوتهم تغلفت في جميع قبائل نجد والحجاز وعسير وأطراف هذه البلاد وما جاورها حتى ان قبيلي غامد وزهران الحضر يتبين طلبنا مرشدين من علماءهم ما ينتقد على المدينة

هذا مجمل ما بلغنا من خبرهم من المختبرين المعجبين بنهضتهم الذين يرجون تجديد الاسلام في الجزيرة بهذه الحركة، ولا نجد بدا من ذكر انتقاد بعض رواة خبرهم غلوهم في كثير المسائل وتشديدهم فيها الى انهم يحرمون بعض المباحات، ويجزون على بعض الذنوب بأشد العقوبات، وآفة ذلك جهل بعض الدعاة بالاحكام الشرعية تفصيلاً، وهو جهل لا يرجي تلافيه الا بالتوسيع في العلم الشرعي، فان الذي يأخذ الدين بقوة يرجم الى ما يعلم من احكامه وهدايته.

وخصوصاً هؤلاء المدينة ينهزونهم بلقب الوهاية الذي وضعته السياسة لاهل نجد وسماهته مذهباً، وقد حدثني الثقة عن عالم من أهل الحديث رآه في مكة وكان في نجد

[المنار: ج ٥٥ ص ٢١]

حقيقة الوهاية ومذهبهم

٢٣٠

أن علماء نجد ينتقدون على المدينة غلوهم في الدين والجهل بكثير من أحكامه التي لا غنى لمسلم يقيم دينه عنها . وسبب ذلك أنه لا يوجد في نجد من الدعاة والمعلمين الراسخين في علم السنة ومذهب الامام أحمد من يكفي لتلميم هذه القبائل الكثيرة التي تركت تقاليد الجاهلية وانتظمت في ملك المدينة. واننا رأينا أكثر الذين ينصفون الوهاية في الامصار الاسلامية يقولون لاشك في انهم مجددون للاسلام في بلاد العرب ولكنهم غلاة مشددون ولشدة تمسكهم بظواهر النصوص وأخذها بقوة بدوية لا يشعرون بأنهم غلاة متشددون

حقيقة الوهاية ومذهبهم

ترى في كتب التاريخ الحديث ان لفظ الوهاية يطلق على أتباع الشيخ محمد عبد الوهاب العالم السني الشهير الآتي ذكره المجدد للنهضة الدينية في نجد. وقد اتخذ أمير نجد تلك النهضة في ايام ظهورها وانتشارها وسيلة للاستيلاء على بلاد الحجاز التي طال عليها عهد الظلم والجهل ولم يظهر فيها مصلح علمي ولا إداري ، فانبرت حكومة الآستانة لماضته واخراجها من الحجاز الذي هو مناط عظمتها وسماعتها الاسلامية، واستماتت على ذلك بحكومة محمد علي باشا الفتاة اذ كانت عاجزة عن تولى ذلك بنفسها ، وأرادت ان تشوه تلك الحركة الاصلاحية فاذاغت أنها عبارة عن احداث مذهب جديد مبتدع في الاسلام مخالف لمذاهب أهل السنة، وأغرقت أنصارها من العلماء الرسميين والمفتين بالرد على هذا المذهب وتضليل أهله أو تكفيرهم وهم ينكرون كل مذهب في الاصول غير مذهب السلف الصالح ويتبعون في الفروع مذهب الامام أحمد ابن حنبل وأصحابه ولكن الدولة العثمانية والحكومة المصرية كانتا أقدر منهم على اقناع أكثر أهل بلادها بأنهم يتبعون مذهباً جديداً وان محمد علي باشا كان مجاهداً ناصراً للاسلام بقتالهم وان كان أصدق مؤرخي عصره وهو الشيخ عبد الرحمن الجبريني يثبت ضد ذلك في سيرته وفي وصف جيشه وجيشهم، فأما كلامه في سيرته فكثير، وأما مارواه عن المقارنة والمقاتلة بين الجيشين فحسبك منه ما ذكره في أول حوادث سنة ١٢٢٧ هـ ذكر الذين انهزموا من هسكر محمد علي ورجعوا الى مصر وهو

رواية الجبرتي في الوهاية وعسكر محمد علي

« ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورغ أين لنا بالنصر وأكثرت عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدن بدن ولا ينتحل مذهبنا وسحبنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضنا أذان ولا تقام به فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شمائر الدين. والقوم (يعني الوهاية) اذا دخل الوقت أذن المؤذنون وبنظرون صفوفاً خلف امام واحد يخشوع وخضوع واذا حان وقت الصلاة والحرب قامم أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتقدم طائفة للحرب وتاخر الاخرى للصلاه وعسكرنا يتمجبون من ذلك لانهم لم يسموا به فضلاً عن رؤيته ويتادون في معسكرهم هلموا الى حرب المشركين الحلقين الذقون المسيحين الزنا والواط الكار بين المحور التاركين للصلاة الآكلين الربا القائلين الأتقس المستحلين المحرمات وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غير محتونين » اهـ

نظرة في أقوال الناس في الوهاية

لابزال كثير من مسلمي الحجاز وهجر وسورية والآستانة والاناصول والرملي يظنون ان لاهل نجد مذهباً مخالفاً لمذاهب أهل السنة لان بعض الذين كتبوا عنهم قالوا انهم يكفرون غيرهم من المسلمين ويقولون في النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ما يمد إهانة وانهم عند الاستيلاء على المدينة المنورة أخذوا الكوكب الدرعي من الحجرة النبوية مع غيره من الجواهر والذخائر وانهم بطوا الخيل في المسجد الشريف وهم لا يجهتقون هذه التهم ولا ما يصح ان يعد منها كفراً وما لا يمد وهي تهم خصوم سياسيين والسياسة تستحل الكذب والبهتان والتعريف وكل منكر يوصلها الى غايتها. ثم انهم يتفلون عمافي قوانين حكوماتهم من المخالفة لاصول الدين وفروعه القطعية المجمع عليها المملومة من الدين بالضرورة التي يكفر جاحداها باتفاق مذاهبهم كإباحة الزنا والربا والقفل لاسباب عسكرية وسياسية مخالفة للشرع، وهن قول علماءهم ان الرضا بالكفر كفره وهما يسمعون من الاقوال ويرون من الافعال التي يمدوا قتها وهم كفراً أو فسقاً يكفر مستحله. ولا ية ولون لعل ما يقال عن أهل نجد ان صح يكون من جعل بعض أفرادهم لامن مذهبهم كما أن ا في بلادنا من أحكام القوانين وأعمال الكثير من الفساق والمرتدين هو من جهل بعض الناس بالدين أو ترك الاهتداء وليس عملاً بمذهب أبي حنيفة الذي هو مذهب الحكومة وأكثر الولايات التركية ولا

٢٣٢ تشدد الزجديين والافغانيين في المذهب [المثار: ج ٥ م ٢١]

بمذهبي .الك والشافعي اللذين ينتمي اليهما أكثر أهل هذه الولايات العربية
أهل نجد الذين يسمون وهابية كأنهم جنابلة يتقون من كتب السنة المشهورة
وكتب مذهب الامام أحمد بن حنبل رابع الائمة الاربعة المشهورين وأوسمهم علما
بالسنة كما يعلم ذلك أهل الحديث في كل بلاد الاسلام وهو استاذ أشهر مدوني
كتب السنة كالبخاري ومسلم صاحبي الصحيحين اللذين هما أصح كتب الاسلام
بعد كتاب الله تعالى . وحكومة نجد لا تحكم الا بفقهاء الامام أحمد فلا يوجد فيها
قوانين غيره ولا أحد هناك يعمل أو يحكم بقول للشيخ محمد بن عبد الوهاب قاله
باجتهاده ولا يوجد أحد في تلك البلاد يجاهر بمصيبة من المعاصي الكبائر ،

فهم باستمساكهم بمذهب الامام أحمد يشبهون أهل أفغانستان في شدة استمساكهم
بمذهب الحنفية والتصصب له وشدة الانكار على مخالفه ، ولكنهم يفضلونهم ويفضلون
سائر المتبين الى المذاهب الاخرى بتقديم نصوص الكتاب والسنة على أقوال علماء
مذهبهم عملا بقوله تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر) ويمذرون من يأخذون بأقوال أي امام من المجتهدين
ولكنهم ينكرون على من يأخذ بقول أي مؤلف منسوب الى مذهبه فيما يخالف فيه
السنة الصحيحة الصريحة وذلك كثير . وأما الافغانيون فيعاقبون من يخالف مذهبهم
ولو الى قول مجتهد أرحم أو عملا بحديث صحيح . فمن المقول عنهم انهم يعاقبون من
يقول « آمين » بعد الصلاة حتى ان بعضهم سمع رجلا يصلي بجانبه في الصف قال آمين
مع تأمين الامام فضر به بمجموع يده على صدره ضربة رقع بها على قفاه ، وينقل عنهم
انهم اذا رأوا عمال يرفع سبابته عند التشهد فانهم يعاقبونه بقطاها ، وقد سألت عن هذا
بعض طلبة العلم منهم في مسجد لاهور لاثري الكبير بالهند فقالوا انه صحيح وأرادوا
أن يحتوا عليه فقصرت الكلام معهم متاظف في الانكار عليهم

وأخبار تدوب أهل المذاهب مضمين على بعض مشهورة مسطورة في كتب
التاريخ وكل ما كان ينكره الجنابلة أهل الكلام في معتقد وأهل الرأي في الفقه
هو الانتصام بظواهر نصوص الكتاب والسنة وترجيح ما كان عليه السلف الصالح
علي ما جاء به أذباة أهل انظر من بعدهم لذلك كانوا هم أحق بلقب أهل السنة

من الذين يتحلونهم لانفسهم دونهم
وأبرهم لهذا الهد من العقلاء المعتدلين، لامن الغلاة المشددين، فقد بلغنا أن
الانكسار اجتهدوا في أول الهد بالحرب الاخيرة في اسمائه لقتال الترك فاعتذر عن
ذلك بانهم مسامون، وان ما كان حرب أهل بلاده لهم من قبل ففما هو دفاع لا اعتداء،
وكبار علمائهم أولى بالاعتدل وانصاف المحالف، فلم يبق الا أن خصوهم بمجملون
شذوذ بعض الغلاة منهم قاعدة متبعة ومذهبا لهم كافة

وانني أذكر لهم شاهداً على مبالغتهم في سوء الظن بدين أهل البلاد التي فشت
فيها الأقوال الشركية كدعاء غير الله تعالى ولا سيما في وقت الشدة — وعلى كونهم
مع هذا يتبعون الدليل اذا ظهر لهم ويتبعون به

زارني في مكة المكرمة شاب نجدي يظهر انه من طلاب العلم فقال اني أريد
أن أسألك عن شيء أشكل علي من عمالك وانما أسألك عنه لانك من علماء الحديث
وأنا من السنة ومقارمي البدع . قلت سل . قال : اني رأيتك تصلي مقتدياً بأئمة
الحرم وقد فشا فيهم دعاء غير الله تعالى فيما لا يطلب من غيره والاستعانة بسواه فيما
هو خارج عن الاسباب التي يتماون الناس فيها وغير ذلك من الشرك الجلي . . .
قلت اني لم أصل مقتدياً بأحد سمعت . به مثل ذلك أو علمته عنه ، وانه لا يوجد
عمل أدل على اسلام المرء وإيمانه من الصلاة فانا أصلي مع كل من رأيت به يصلي اذا
لم يكن عندي علم بأنه على عقيدة باطلة ، واذا كان الله تعالى يقول (ولا تقولوا لمن
أتى اليكم سلاماً لست مؤمناً) والسلام أضف الامارات على الايمان فهل يصح
أن أقول بكفر المصلي والصلاة أقوى امارات الايمان؟ فرأيتهم قدم هذا الدليل ورضي
به ، ولكنني رأيت من المتعذر اقناع أوثق الطلاب الافغانيين في لاهور بخطأ قوتهم
فيما ذكرت آنفاً . ومثلهم من يقلد شيوخ سوء الفرقين في تكفير من يسمونهم الوهابية
لا يوجد عالم سني ولا شيعي ولا خارجي يدعي العصمة لاهل مذهبه فكل
فرد من أفراد كل فرقة عرضة للخطأ وان بلغ من سعة العلم ما بلغ وكان الامام مالك
يقول : كل أحد يؤخذ من قوله يرد عليه الا صاحب هذا القبر — وبشير الى قبر
(المنار: ج ٥) (٣٠) (المجلد الحادي والمثرون)

المصطفى صلى الله عليه وسلم . وخبر المخطئين من يكون خطأه عن اجتهاد وحسن نية سواء كان في تنقيح المناظر أو في تحقيقه وآيته انه اذا ظهر له الدليل على خطأه رجع عنه الى الصواب ، وشر المخطئين من يتبع في خطأه من ليس بمصوم ويهر عليه وان ظهر له الدليل من الكتاب والسنة على خلافه . فما أضع الدين وروج بضاعة الجاهلين والدجالين الا هذا التقليد الاعمى من الشيخ والفرق لكل من ينسب الى مذهب من يسمونه امامهم من غير علم ولا بصيرة ، حتى انهم يقادونهم فيما يخالف نصوص الائمة الذين يدعون اتباع مذاهبهم ، والشواهد على ذلك كثيرة في المنتسبين الى كل مذهب من المذاهب ، وانكتم يتخذون أمما . لائمة دروينا ودرقايد فعمون بها حجاج كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المثبتة اعراضهم عنهما واتباعهم سنن من قيامهم شبرا بشبر وذراعا بذراع . مصداقا للحديث المشهور ، وانما أرادوا أن يسابوا أهل نجد مثل هذا الدفاع عن أنفسهم فسلبوهم اسم الخاتمة وسموهم الوهابية ، ألا فليأتوا مسألة واحدة مما عليه جمهور أهل نجد لا أصل لها في الكتاب والسنة ولا في كتب مذهب الامام حمدان حنبل كما يأتي من هؤلاء . كثير من المسائل المحلة بقيدة الاسلام وبأحكامه التعبدية والقضائية الفاشية في بلادهم مما ليس له أصل في الكتاب والسنة ولا كلام الائمة

تلك حقيقة من يسمون الوهابية والندوية ونسبتهم الى غيرهم من المنتسبين الى المذاهب المشهورة لمصنعا مما قرأناه في كتبهم ومما وقفنا عليه بالرواية ولاختبار ومن كتب التاريخ التي خلطت الحق بالباطل وجمعت بين ما كتبه المهون والافرنج على الخلاف الروايات والاهواء كدأب الناس في كل ما تدخل فيه السياسة وتنازع فيه الاحزاب والشيخ ، واننا نقل ما كتبه ، وورخ من أهل العلم الذين صدقوا كما كنا نصدق ما أذاعته السياسة من تأسيس الشيخ محمد عبد الوهاب مذهب جديد وما ذلك الا رجوعه الى مذهب السلف الذي رجع اليه أكبر مذاق الفخر من أهل الكلام في أواخر أعمارهم كالأشعري والغزالي والرازي وغيرهم على تفاوت بينهم في معرفة السنة وآثار السلف والتدرج في الرجوع ، وهو :

﴿ مذهب الوهابية وعقائدهم ﴾

كتب المرحوم الشيخ عبد الباقى الفخوري الذي كان مقبى بيروت في عهد السلطان عبد الحميد في ترجمة السلطان محمد الثاني العثماني من كتابه (تحفة الأنام، مختصر تاريخ الاسلام) الذي ألف وطبع في بيروت سنة ١٣٢٥ مانه:

« ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهابية في بلاد نجد واستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق

« وهم قوم كثيرين من عرب نجد اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب وهو رجل ولد في « الدرعية » بأرض العرب من بلاد الحجاز طالب أولاً العلم على مذهب أبي حنيفة في بلاده ثم سافر الى اصفهان، أخذ عن علمائها حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم ثم عاد الى بلاده سنة (١١٧٠) ثم أدته الميثة الى الاجتهاد^(١) فأنشأ مذهباً مستقلاً وقرره ثلاثاً بدته وشاع أمره في « نجد » و« الأحساء » و« القطيف » و« عمان » و« بني سببة » من أرض « اليمن » ولم يزل أمرهم شائعاً ومذهبهم متزايداً وجماعتهم تكثر الى أن صدرت الارادة السنية الى محمد علي باشا عزيز مصر بقتل وردع هذه الطائفة خوفاً من انتشار شرهم في البلاد الاسلامية فاطفأ أمر اجهم^(٢) وبدد شملهم وأخفى ذكرهم، وقد توفي زعيمهم سعود سنة (١٢٢٩) فساد الامن في طريق الحج وأتى الناس أفواجا لتأدية فريضة الحج وهذه السنة حج محمد علي باشا بعد ان لم يكن أحد يتمكن من أداء هذه الفريضة

(١) لا يخفى ما في هاتين الجملتين من الاشارة الى الاستحسان ولو صرح لعاقبته
السياة وصادرت الكتاب

وهناك رسالة من كلامهم تدل على مذهبهم ومعتقداتهم :

واعلموا رحمكم الله ان الخليفة ملة ابراهيم أن نبيد الله مخالفاً له
الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم له كما قال تعالى (وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون) فاذا عرفت أن الله تعالى خالق الابد للعبادة
فاعلم ان العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد كما ان الصلاة لا تسمى
صلاة الا مع الطهارة فاذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث اذا
دخل في الطهارة كما قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعبروا مساجد الله
شاهدين على أنفسهم بالكفر أو ينكحوا حبيباتهم وفي النار هم خالدون)
فمن دعا غير الله طلباً منه ما لا يقدر عليه الا الله من جاب خيراً أو دفع
ضرراً فقد أشرك في العبادة كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دونه الله
من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) واذا حشر
الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تمان (والذين تدعون
من دونه ما يتكبرون من قطعيرء ان تدعوهم لا يسموا دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبتك مثل خبير)
فأخبر تبارك وتعالى ان دعاء غير الله شرك ، فمن قال يا رسول الله أو
يا ابن عباس أو يعبد القادر زاعماً انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده
ووسيلته اليه ^(١) فهو المشرك الذي يهدر دمه وماله الا أن يتوب من ذلك ،
وكذلك الذين يحتفون بغير الله أو الذي يتوكل على غير الله أو يرجو غير
الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يتحى الى غير الله أو يستعين بغير
(١) هذا الاجمال يفسر ما بعدد والقوم لا ينكرون الشفاعة بل يخذون فيها بنصي
القرآن كما صرح به ابن عبد الوهاب في رسائله

[المنار: ج ٥ م ٢١] القواعد التي يعرف بها التوحيد من الشرك ٢٢٧

الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو أيضاً مشرك. وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قاتل رسول الله المشركين عليه وأمرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى. يصح ذلك أي التشنيع عليهم بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه أولها: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون أن الله هو الخالق الرزاق المحي المميت المدبر لجميع الامور والدليل على ذلك قوله تعالى: « قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فيقولون الله قل أفلا تتقون » وقوله تعالى: « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله فقل أفلا تذكرون. قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون الله قل فلاتتقون. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون ». اذا عرفت هذه القاعدة وأشكل عليك الامر فاعلم انهم بهذا أقروا ثم توجهوا الى غيبي الله يدعونه من دون الله فاشركوا

(القاعدة الثانية)

انهم يقولون ما نرجوهم الا لطلب الشفاعة عند الله تريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم، وهو شرك. والدليل على ذلك قول الله تعالى: (ويسألون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم. يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقول الله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يشكم فيما هم فيه يفتنون. ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) - اذا عرفت هذه القاعدة فاحرف:

٢٣٨ القواعد التي يعرف بها التوحيد من الشرك [المنار: ج ٥ م ٢١]

القاعدة الثالثة— «وهي أن منهم من طاب الشفاعة من الأصنام ومنهم من تبرأ من الأصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) ورسول الله لم يفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل وقتلهم حتى يكون الدين كله لله . وإذا عرفت هذه القاعدة فاعرف:

القاعدة الرابعة— «وهي أنهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون، والدليل عليه قوله تعالى (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله . فإذا عرفت هذا فاعرف : ان المشركين في زمان النبي أخف شهكا من عقلاء مشركي زماننا لان أولئك يخلصون لله في الشدائد وهوؤلاء يدهون مشايخهم في الشدائد والرخاء والله أعلم بالصواب اهـ

وهذه الرسالة والقواعد التي أسماها ذلك الشيخ لاشبهة فيها لان هذا هو الدين الذي جاء به النبي والانباء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعائمه أجمعين . لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسألة واتبعه قومه من بعده فافرطوا وفرطوا وتصروا حتى تولد منهم بسبب هذه القواعد تقيص وتحقير ما عظمه الله وأمرنا بتعظيمه ومحنته وتوقيره، وقاسوا المسامين المخلصين في التوحيد بالمشركين، حتى قاتلوا المسلمين في أفضل البقاع واستحلوا دماءهم وأموالهم، كما وان أكثر العوام من جهلة الاسلام قد تغالوا وافرطوا وابتدعوا بدعا تخالف المشروع من الدين القويم فصاروا يعتمدون على الأوثان الاحياء منهم والاموات معتقدين

أن لهم التصرف وبأيديهم النفع والضرر وبخطابونهم بخطاب الربوية وهذا غلو في الدين التويم، وخروج عن الصراط المستقيم، وقد ورد في الحديث المرفوع «دين الله تعالى بين المتألي والمقصر» اهـ

[المنار] هذا ما كتبه مقيت ببروت رحمه الله ولا يخلو كلامه الاخير من تعارض لعل سببه محاولة الجمع بين اعترافه بصحة عقيدتهم التي رواها مجملة وبين ما نقله عنهم خصومهم . على انه كان مضطرا فيما كتبه الى اتقاء وشاية المفسدين والسماح به الى السلطان عبد الحميد الذي كانوا يخوفونه من استمداد الوهاية للخروج عليه وهو لا يقولون في ذلك : اذا كان المؤلف قد اعترف بأن هذه القواعد هي دين الله الذي أرسل بها رسوله فكيف يكون مؤسسها واضعها المذهب الجديد وهل الجديد الا مخالفتها ؟ واذا كان قد اعترف أن أكثر العوام من جهالة الاسلام خالفوا الدين التويم بالاعتماد على الاولياء والاحياء والاموات الخ ومن المعلوم ان غير الأكثر الجاهلين أقروهم على ذلك فكيف يكون من بين لهم الحق الذي ضلوا عنه وقاتلهم عليه مخالفا ؟ وأين قياس الموحدين المخلصين بالمشركين ؟ واذا صح قوله ان هذه القواعد قد تواد منها تنقيص ما عظمه الله وهي حق باعترافه أفلا يكون ذلك من قبيل قوله تعالى في كتابه (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) وما المراد بذلك التنقيص ان المؤمن بالله وبكتابه العالى في أتباعه لا يصدر منه تنقيص لما أمر بتعظيمه ولكن خصومه نايطلقون ذلك على إنكارنا المعلوم في تعظيم الصالحين بوصفهم بما لا يوصف به الا الله خالقهم ودعائهم واستعانتهم به فيما لا يطلب الا منه تعالى الشرع دون عرف كما هو مقرر في القواعد . فن تجاوز بعضنا هذا الحد الى ما يمد تنقيصا في عرف أهل البدع أو الشرك فانا ننكر عليه كما ننكر على كل مخالف ، ولا نبرئ كل من اتقى البناء من الهدى في فهم قواعدها أو مخالفتها وسببنا ان مادعونا وقائلنا في سببه من جردوا علينا الحملات العسكرية لاجل الملك هو دين الله على لسان خام رسوله ودين سائر أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم كما اعترف بذلك انقي رحمه الله

هذا ما يقولونه ولا تبخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى رسائل في رد شبهات المخالفين ربما ننشر بعضها في المنار ليطلع عليها من لا يعرف عنه شيئا الا من كلام العترة من

﴿ الوحدة العربية . ودعوة ملّا - الحجاز الى قال الوهابية ﴾

قويت في هذا القرن فكرة وحدة الاجناس ولا سيما الذين يجمعهم وطن واحد ويتمارفون باقمة جامعة وتوحته هم المشتغلين بالسياسة والشؤون العامة الى ترقية اقوامهم وجمع كلمتهم ووحدة حكومتهم ، وكان من أمر العرب التابعين للدولة العثمانية في ذلك ما فصلنا القول فيه من قبل

وتقول الآن ان ثورة مكة المكرمة واعلان اميرها الحسين بن علي الخروج على متغاية الانحاديين الطورانيين ثم على دولة الترك بجمعتها في عهد الحرب الاوربية بل البشرية الكبرى قد اطعم بعض أهل الغيرة والاخلاص من العرب بانخاذ ذلك كقضية الى جمع كلمة عرب الجزيرة والاستماتة بوحدتهم واتفاقهم على إقناذ عرب سورية والعرق من ظلم الانحاديين واضطهادهم اياهم في زمن الحرب والتعاقد معهم بمدها على ما يرتقى به الجميع سواء انتصر أحلاف الدولة العثمانية وظلوا مرتبطين بها أو انكسرت بانكسارهم وفصل بينهم وبينها . وزاد في طمأنينة هذا اعلان الزعيم العربي الثائر أن ثورته عربية جنسية لا تفرق بين المسلمون وغيرهم من العرب . ومما نقل عنه وعن أنجاله قواد جبهوشه وانتشر في جميع الاقطار التي يقطن فيها الناطقون بالضاد قوله : اننا كنا عربا قبل موسى وعيسى ومحمد . أي فيجب ان نقيم وحدتنا العربية التي كانت قبلهم صلوات الله وسلامه عليهم فلا يكون ملأهم حائلة دون ذلك لهذا سعى اليه بعض هؤلاء الطامعين في جمع الكلمة بأن يعقد اتفاقا بين شريف مكة والامير ابن سعود صاحب نجد والامام يحيى صاحب اليمن والسيد الادريسي صاحب عسير على قعدة الاعتراف لكل منهم باستقلاله في بلاده والتعاون بينهم على دفع الأعداء الذين يهددونهم . وقد سعى اليه في ذلك بعض الأعداء الذين يهددونهم في الحرب ووصل خبره الى الشريف بعد ابعثه اليهم واستحسانهم له والعلم برغبةهم في الوقوف على تفصيله والبحث في طريقة تنفيذه . ولم يعلم رأيه فيه قبل الشهادة ولما عرض عليه بعدها وقد ظهرت شدة الحيرة عليه ومثل ان يشرع في تنفيذه قال ان سميه اليه بحمل عندهم على خرقه من التراب وتجدد الاستعانة عليهم لا على الاخلاص وانه يرى

تأخيره الى ان يفتح المدينة المنورة ولا يقبل لترك شيء في الحجاز . ولكن روى عنه
بعض عماله انه كالم يدها التسمي في المسألة فقال كلاما حاصله اعتقار أولئك الامراء
بأنه لو كان سألهم اليوم ستزول عداه أي سيريلها سر
ثم صرنا نرى في أعداد تلقى اليها من جريدته القبلة (بعد قطعها المبادلة مع المنار
على كرم مع الحكومة الاشبية دخوله في الحجاز) مقالات ومذكرات في العاصم في
أهل نجد والدعوة الدينية الى قتالهم . ثم بلغنا خبر ارسال حكومة مكة الهاشمية الحلة
بعد الحلة لقتال الشريف خالد في الحرة . ثم بلغنا بعد تسليم المدينة المنورة بأشهر
خبر القتال بين الجيش الذي كان محاصرا لها وبين النجدين أنفسهم . فكان ذلك
مباركنا حين شديد في قلبنا وقلب كل عربي يحب وحدة قومهم واتفاقهم وكل مسلم
يكره التماذي والقائل بين أبناء دينه . بل ذلك مما يحزن كل شرقي يكره ان يشهد
الجزير بيون الشعوب الشرقية وأن تكون هذه الشعوب هي التي تمهد لهم السبيل الى
ذلك بتعاديتها وقتالها والى الله المشتكى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وانما ثبت في هذه الفصول التاريخية المحزنة بعض ما نشر في جريدة القبلة
من ذلك . فمنها المنشور الرسمي الذي صدر به عدد القبلة الذي صدر في غرة
ربيع الأول من هذه السنة نقله عن الجرائد وهو

﴿ منشور ملك الحجاز ﴾

أعلمنا في منشورنا الصادر يوم الاربعاء ٩ شوال سنة ١٣٣٦ الذي
نشرته «القبلة» في عددها ٢٠٢ الصادر يوم الخميس ٢٤ شوال سنة ١٣٣٦
عن البدع والزيغ الديني الذي تلقته أهل الحرة — القرية المعروفة الكائنة
في شرق مكة المكرمة وفي الشرق الشمالي من الطائف وتبعد عنه نحو
الثلاثمائة فرسخ — من بقايا متحلي العقيدة الوهابية من ساكني
بعض قرايا نجد المكفرين لكل العالم الاسلامي بالاحتمالات المألوفة
الساقطة عقلاً ونقلاً التي من جعلها زيارة روضته صلوات الله عليه وسلامه
(المنار ج ٥) (٣١) (المجلد الحادي والعشرون)

كما يشهد بذلك عليهم اجتناب كل فرد ينسب الى اعتقاد تلك الاضاليل لزيارته صلوات الله عليه وسلامه وكشارب التنباك وحامل السبحة ونحو ذلك . وأن لا بد للرجل أن يعترف بأن أباه وجد جده ماتوا على غير الاسلامية . وما ان مجتهديهم قد أتونا في هذه المرة أيضاً بتكفير من يضحك أو يروي الشعر أو من يحدو ، الى غير ذلك من الاباطيل التي تمين ماهية عالمهم . وكوقوفهم فيما يرمون به أهل السنة والجماعة باعتبارهم على أنفسهم بالنفع والضرر بالمصا بقولهم انها تنفع وتضر ومحمد زاده الله شرفاً وتعظيماً . . . الخ . وجهلهم ان معاشر أهل السنة بصرف النظر عن انهم لا يقولون بذلك والعياذ بالله فانهم يعتقدون ما هو أعم وأبلغ مما تزعمه المبتدعة المذكورة كاعتقادنا بأن الماء لا يروي والطعام لا يشبع والنار لا تحرق ولا تقطع السكين الا بقدرته وإرادته جل شأنه وعلا . واننا لا نريد الا فيما أراده الصديق الاكبر والقاروق الاعظم رضوان الله عليهما من الالحاح في دفنهما عند ما أدرك كلا منهما الاجل عند قدميه الشريفتين صلوات الله عليه وسلامه . وهذا على سبيل الاختصار فليتأمل

وعليه وعلى ما أشرنا اليه في منتورنا البادئ الذكر أعلاه من عزمنا على الرفق في معاملةاتهم والتباعد عن كل ما يؤدي الى سفك الدماء وصيانتها ولكن أبت تلك الضلالة وذلك الزيف عن منتحليهما الا الاصرار على المقاومة كما يعلم من الوقائع التي نشرتها جريدة «القبلة» من قبيل الحوادث وتجاوز جرائمهم بواقعة يوم السبت الماضي الموافق ٢٠ صفر سنة ١٣٣٧ على مركز المؤن الكائنة في (عشيرة) وتشجيعهم بالمدد الوارد اليهم من اخوان بدعتهم برفق سلطان بن بجاد المعروف لديهم بسطان الدين وغيره من عرفائه

« رأيت الحكومة - وهي لا تشك بأنها في ضمن قوله صلوات الله عليه وسلم: يؤجر المرء رغم أنفه^(١) - أن تقوم بمقابلة أولئك المبتدعة بالمثل مباشرة ، بالإصالة عن نفسها وبالنيابة عن كافة المسلمين مع مراعاة الرفق أيضا لمحو هذه البدعة خدعة للدين وتزيها له مما في هذا الزيف والضلال وسلامة البلاد من سيئاته . والله ولي التوفيق » اهـ

في هذا المنشور تصريح بان التخاصم كان أولا بين أهل الخرمة وحكومة الحجاز كما تقدم في أول هذه النصوص ، وان أهل الخرمة ساعدتهم غيرهم بعد ذلك . وما ذكر في المنشور من بدع الوهاية نسب الى بقايا منهم في بعض قرى نجد ، وهذا لا يبيح اطلاق القول في تكفير أهل نجد كماهم ولا جملتهم ولا يبيح قتالهم وانما على حكومتهم أن تنظر في أمر من ضل منهم ان سحت الرواية على ظاهرها . وقد اطلعنا على منشور صدر بعد هذا في العدد الذي صدر من جريدة القبلة في ٨ جمادى الاولى ووقع اعلاه (باسم الحسين بن علي) وهذا نصه :

منشور كريم

بسم الله الرحمن الرحيم

وما يبدى الباطل وما يعيد

الحمد لله رب العزة من استهدى به هداه ، ومن توكل عليه كفاه ،
والصلاة والسلام على خيرته ومجتابه ، وآله الطهر ، وأصحابه اليامين النر ،
ما كمد حسود وججود

أما بعد فقد ضاق ذرع حسادنا ونضبت جمبة تلفيقات مخترعات
إفكهم فأصبحوا الا يجدون ما يقولون ، ولا يفقهون بما علينا به يفترون ،

(١) المنار: لم ير أحد من حفاظ السنة عن النبي «مر» أنه قال هذه الجملة ولكنها مما يدور
على الالسنه وسبب تسمية الكثير من أمثال هذه الجملة حديثاً شهها بالاحاديث في اختصارها
وانادها حكمة أو حكماً

الا اشاعتهم في هذه الخطرة بأن العرب مختلفوا الرأي متفرقوا الكلمة
أدى بهم اختلافهم الى القتال شبر - نار حربه بينهم لا ثبات عدم كفاثتنا
معاشر العرب امام العالم الذي أعان والثناء لله ثنته بنا وحسن ظه فينا الى
الدرجة التي لا نرى من حاجة للبحث عنها، كما انا لا نرى أيضاً البحث
عن تلك المخططات الساقطة بطبعها بالوفود الذي لا يخلو شهر من قدومهم
علينا من أقاصي البلاد على مرأى ومشهد العامة الا ان أرادوا تجدد دعوى
مبتدعة الوهاية المذكورة الذين نشر أمرهم غير مرة على صحائف (القبلة)
فتحن نحرر منشورنا هذا علاوة على ما سبق اعلم القاصي والداني بانه متى
تحقق لدينا عدم نجاح خطة الدفاع أمام مبادئهم فلا بد للسلطان من
قتالهم بكل موجوديته ويعتبره من أشرف الوظائف وأهمها مصلحة لا
لا إرادة ملك أو حرصاً على رياسة كما يبناه في الحفلة العمومية الاخيرة
وصرحنا لمن حضرها بانكم ان رأيتم من هو أرشد وأصالح مني للامر
فهذه يدي ممدودة لعهد وأيدنا قولنا هذا بالحجج المملوءة لدى حضارها
ولكن يقا تلهم للقدم والغاية التي زحفت من أجلها على مركزهم جيوش
مولانا محمد علي باشا الا كبر طاب ثراه ولسلامة وصيانة البلاد من كفر
وفسوق وعدوان أمثال هذه الخارجة وشوائب خروجهم عن الاسلامية
فانه بصرف النظر عن تكفيرهم لمن سواهم من العالم الاسلامي ونبيلهم من
سيد الاولين والآخرين من وصفه جللت قدرته بأنه عزيز عليه^(١) وانه رحمة

(١) المنار: يشير بهذا الى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم)
وظاهر عبارة المشور ان قوله تعالى «عزيز عليه» وصف للرسول مستقل معناه انه مكرم
عنده تعالى كما يقول الناس اليوم: فلان عزيز علينا أو عندنا. والصواب أن قوله «ما عنتم»
معمول له وما مصدرية: أي عزيز عليه عنكم أي شديد شاق عليه أن تقموا في شدة أمر مكرره

للعالمين فتبجحهم بقولهم ان العالم سيبعث شاء المولى أو لم يشأ والمياد بالله وهو عز من نائل يقول (قُتل الانسان ما أكفره) نعم - قتل الانسان ما أكفره - الى قوله عظمت قدرته (ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره) الآية كفاية للمتبصر ولا يبقى بعد هذه المجاهرة بهذه الشناعة متأمل فليعتبر وليتهم بعد ان اعتقدوها وأمثالها اكتبه صدورهم لينظر اليهم كسائر المتعدين والمتقدمين من المسلمين وسواهم كذا) ولكنهم تظاهروا بها وأباحوا دماء من لم يجب دعاتهم على اعتقادها وأمثالها وبدؤهم بالقتال واستحلوا أموالهم وانفسهم فكيف لا يقال والحالة هذه بقاتلهم ام كيف نتحدث عن اعلانه بمنشورنا هذا على صحيفة القبلة اولاً ثم اردافه بأناعلى ما قلناه وصرحنا به المرة بعد الاخرى بأن مبايعينا بالذات او بالواسطة اذا رأوا المصلحة في سوانا فهذه ايدينا واولادي لعمد من يريدونه مبسوطة وإن لم تكن كذلك فذراً من الله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ونكن من الذين عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وهذا منا كما يعلم الله سبحانه وتعالى حرصاً على رابطة جامعة اقربا منا ان يفتنهم الاجراء ومبعضو تجدد مجد وسودد عليا الاسلاف بتهانا ونسبتنا بحب الرياسة والحرص على الجاه وهو العالم الخبير فلا تسئلوز عما اجر منا ولا نسئل عما تملون، اه
في ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣٧

[المنار]: هذان المنشوران الرسميان قليل من كثير ما نشرته جريدة القبلة التي هي اسان ملك الحجاز باسمه واسمها في تكفير لوهاية أو النجدين والدعوة الى قتالهم باسم الدين تارة واقتداء بمحمد علي باشا تارة اخرى . ومن العجيب أن يسئ ملك الحما محمد علي مولاه ويجعله قدوة له في قتال أهل نجد بناه على

٣٤٦ رأي جمهور المسلمين في تقابل الحجازيين والنجديين [المار: ج ٢١٣٥]

انه قتال لا يطلب به ملك ولا جاه كان محمد على من الخلفاء الراشدين المهديين الذين خلفوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقامة الدين ، فحسى أن يراجع تاريخ الجبرتي المعاصر له الذي كان يدون اخباره عند حدوثها يوماً بعد يوم ليعلم مبلغ هلمه بالدين وعمله به، وأن يقرأ قانونه (قانون الكرابج) الذي طبع في المطبعة الامبرية منذ أول العهد بتأسيسها. وهو مع هذا يتكلم في تكفير القوم بلسان العالم المستدل ومحمد علي كان أمياً لا عامياً فقط، ويتكلم في وجوب ذلك عليه باسم من ولي امامة المسلمين وخلافة نبيهم (ص) ليعلم دينهم وينفذ أحكامه وحدوده في المرتدين والبلغاة، ومحمد علي كان والياً لمصر من قبل السلطان العثماني وأمره حارب الوهاية، وملك الحجاز اليوم كان أميراً من قبل السلطان العثماني على الحجاز بلاطة محدودة فخرج عليه موالاة لدول الخلفاء وسمي ملكاً للحجاز باعترافهم له ، ولا يزال الحجاز بحسب القانون الدولي من بلاد الدولة العثمانية ولن يزال كذلك حتى يعقد الصلح بين الخلفاء وبين الدولة العثمانية ويفصل فيه بأمر الحجاز

وأما أهل نجد فهم مستقلون منذ قرون كثيرة وحاكمهم يسمونه اماماً وما نطقن أنهم يبايعونه بالامامة (أي الخلافة) كما يبايع أهل اليمن أئمتهم، وحكومتا اليمن ونجد شرعيتان والحكومة العثمانية قد اعترفت باستقلال اماميهما وليس فيما قوانين وضعية ولا ماهدات تقبدهما بقيود غير شرعية ، فان خرجت احدهما عن الشرع أو ارتد أهلها كلهم أو جلهم عن الدين (فرضاً) فأجدر بالآخرى أن تكون هي تقيم حكم الله فيها وأما تصدي ملك الحجاز الذي يتناصفه حكومته مثل ذلك بمساعدة حلفائه وأوليائه فلا يخفى حكمه ، وهو يستلزم أن يقاتل أهل الشام اذا تم لهم ما يطلبونه من الاستقلال دونه وانشاء حكومة مدنية اذا خالفت حكومتهم الشرع في بعض أصوله وكذا بعض قروعه المجمع عليها المعلومه من الدين بالضرورة، وهو لا يستطيع ذلك مهما تكن الحالة التي يقر أمر حكومته عليها مؤتمر الصلح . بل ليس للمسلمين امام في هذا العصر يستطيع أن يقوم بالأمر الذي تدعو اليه هذه المنشورات الحجازية، فلم يبق الا أن المسألة يراها جمهور المسلمين مسألة تنازع وتقاتل بين طائفتين متجاورتين من المسلمين تكفر كل منهما الاخرى، والواجب اذاً على أصحاب الاستطاعة منهم أن يحكموا

المنار : ج ٥ م ٢١] ما يجب على المسلمين في الفتنة الحاضرة ٢٤٧

فيها قوله تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فأصلحوا بينهما فان بقت احداها على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله . فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)

والمسلمون المستقلون القادرون على هذا هم جيران الحجاز ومجد من أهل اليمن وعسير . فالمطالب بذلك شرعاً إمام اليمن والسيد الأدرسي صاحب عسير . وأما مسلمو سورية والعراق فهم خاضعون الآن لأحكام دول الحلفاء العسكرية فليس لهم حرية ولا قوة على عمل شيء باسم الاسلام ولا باسم الوحدة العربية وهم في هذه الايام محصورون في درء خطر الاستعمار الاوربي عنهم ويتمنون لو يتفق على الوحدة الوطنية مؤمنهم الصادق ، وملحدهم الجاهر والمناقض ، واليهودي والنصراني ، والدرزي والنصيري والاسماهيلي ، وانه ليجد في مسلمي العرب ملاحدة كملاحة الترك من الانحاديين وغيرهم ، ومنهم من يهرحون في خطاب يلقونها ومقالات ينشرونها على الجماهير بوجوب جعل الدين الاسلامي محصورا في المساجد لا يتجاوزها الى دوائر الحكومة أو المحاكم ، فما يفعل هؤلاء من يقاتل الوهاية اقامة لاحكام الدين ؟

وقد نقل الينا عن هؤلاء الوهاية وعن بعض الحجازيين والترك وغيرهم ان أمراء مكة من الشرفاء لهم قانون سري وضعه لهم جدهم أبو نمي قد شرع للشرفاء فيه أحكاما خاصة بهم تصادم الكتاب والسنة وما أجمع عليه جميع المسلمين ككون الشريف منهم اذا قتل يقتل به أربعة من قبيلة القاتل وغير ذلك من الاحكام التي تبيح لهم من أموال الناس ودمائهم ما حرمه الله تعالى . ويدعي هؤلاء الوهاية أن ملك الحجاز الذي قام بناؤهم يدين بهذا القانون وينفذ أحكامه وان هذا كفر بإجماع المذاهب الاسلامية كلها وانه هو يعاقب بالقتل والعقاب والقلم ومصادرة الاموال من غير محاسبة ولا حكم شرعي ولا غيره وان استباحة ذلك كفر صريح بالاجماع

٢٤٨ خطاب ابن سعود لأهل الشام [المنار: ج ٢١ ص ٢١٥]

قال الذي يأتي من تصدي لإصلاح ذات البين أن لا يقبلوا كلام أحد الذي يقين
في الآخرة ولا في الدنيا أن يتحكم في عاينته، بهذه القوة بل تؤمن السلاط
ويجمل الفصل للمسلمين واليهان، لا لايف والسنان
وأما ابن سعود فلم يمانته شيء في قوة صاحبه طعاز لا ملخص الشور
الذي أرسله إلى بلاد الشام بعد إعلان حكومة دمشق طارح التعارض لإنشاء جيش
حجاز وهذا نصه :

﴿ خطاب ابن سعود لأهل الشام ﴾

« خطاب إلى حضرات كبار ورؤساء (روحيين ومدنيين) أهالي بلاد الشام
مسلمين وسواهم من أئمة الطائفة ويتناول التكليف بسلام عليكم برحمة الله تعالى وبركاته
لقد بلغنا عنكم مالا يوافق صالحنا وصالحكم ولا يتطابق على الحق والسندل
ولذلك فرضنا إلى أحد مريدينا أن يلقي اليكم برسالتنا هذه وهي في مقام شكوى
وتذكير فتقول :

« انكم تعلمون اننا منذ مئات من السنين قابضون على زمام حكومة نجد
« وتوابعها » أباهن جد مستقنين لا ينازعنا فيها منازع . وليس لدولة منا أدنى علاقة
بديارنا سوى العلاقة الودية التي نتجت من تحسس ديبى خليفة المسلمين بالأمانة
والتي أوجبها ورعنا وورع آبائنا العظام على حين أن بلاد الحجاز كبلاد الشام كانت
في ملكية الدولة العثمانية ، حتى جاءت الحرب العامة وانتهت بما تروونه من قسنت
شمل الأمة ، وتوزق وحدة الأمة ، وكان ما كان في ذلك الاثناء من أمير مكة المكرمة
مما لا شأن لنا به لو أنه قهر عمله وفعله على الحجاز ولكنه جازاه الله بعمله عقد عقودا
وأبرم موثيق رهن بها سائر الاقطار العربية إلى مهاوي الهلاك وهي كما ندعون منبع
الاسلام فطوح بها إلى حضيض الذل والهوان بعد ان عزت آلافا من الدهور
إلى أن قال — « ذلك تجاوز منه وجرأة على الله والأمة وأنى له هذا الحق
والبلاد العربية فيها ممالك مستقلة ذات خبرات ومبرات وملوك وسلاطين منحدرين
هن أصلاب طيبة وأرحام طاهرة هم سادات وأشراف أثبت منه نسيان أكما حصا

« هذا وقد آلتنا على أنفسنا نحن المتحدون بالله وإلى الله أن لا نرجع حتى يرجع الحق إلى نصيبه . ويشهد الله أن ذلك ليس منا انتصارا لدولة ولا طمعاً في توسيع ملك

« نحن نعلم ان ذلك الامير ياتفق علينا مقولات وبرهينا بالمروق من الدين ويدهونا وهابية يستفز نائرة المسلمين علينا وبجمع الجند منهم ويقاثلنا بهم فيريد بذلك نشر الفتنة وتعظيم الخلف

« فيا أبناء الشام ، وأهل باب كعبة رب الانام ، نحن مثلكم مسلمون مؤمنون موحدون ندين بدين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (صلى الله عليه وسلم) وتقر بترتيب الاصحاب كما جاءوا في الحكم والاستخلاف وتقاد في عبادتنا الامام الاعظم أحمد بن حنبل ونعترف ان اخوته الأئمة الباقين هم مثله في العظمة والصدق والصحة فحذار ثم حذار أن يفركم ويفتنكم فعضوه جذا ومالا فما امامكم الا اخوتكم في الله يجاهدون في الله ، ولم يسبق بيننا وبينكم عداوة ولا نحن طامعون في بلادكم ، فبلادكم تملكون مصيرها ، فخلوا بيننا وبينه ليزول الاجمل ويقضي الله أمرا كان مفعولا . أما ان كانت لكم كلمة نافذة فاصرفوها في سبيل احقق الحق وبعد فان من يتجدد الى قتالنا فحيدنا الله عليه والسلام على من سمع فوعى

« عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود »

﴿ تذكير المنار للمريقين ﴾

أيها العرب الكرام ليس هذا الوقت وقت التفرق والانتقام، والنقائز بدعوى تأييد الايمان وإقامة الاسلام بل هذا وقت يتفق فيه الاقوياء من دول أوربة على تقسم بلاد العرب كلها ووضعها تحت سيطرتهم حتى ان حياتها ومعيشتها تكون رهن أيديهم تذكر ان جميع الممالك العربية التي زالت وزالت دولتها ما زالت الا بتخاذل امرائها وزعمائها . كذلك كان زوال ملك العرب بالاندلس والجزائر ومراش وتونس ، وكذلك زالت أكثر ممالك الشرق في الهند وغيرها ، خربوا بيوتهم بأيديهم وأيادي أعدائهم فاعتبروا يا أولي الابصار . . .

(المجلد الحادي والعشرون)

(٢٢)

(المنار: ج ٥)

احتجاج السوريين

صورة التفراف

الذي أرسلته الجمعيات السورية

الى سمو الامير فيصل . الى الرئيس ولسون . الى المستر لويد جورج . الى
رئيس مؤتمر السلم . الى السنيور أورلاندو . الى ممثلي الحلفاء في العاصمة . الى الحاكم
المسكري العام . الى اللجنة الاميرية . الى محمد رستم بك حيدر نائب سمو الامير
فيصل في مؤتمر السلام . الى حبيب بك لطف الله مندوب الاتحاد السوري في باريس
نحن الموقعين أدناه نحتج على ما صرحت به اللجنة الاميرية في جنوبي سورية
باسم مؤتمر السلام من لزوم تسمية دولة تنتدب لوصاية على بلادنا وانا نرفع احتجاجنا
هذا الى دول الحلفاء الذين مازالوا يصرحون انهم ما حاربوا الا لتحرير الشعوب
ونصرة المظلوم ونطلب منهم ان يبروا بوعودهم من ترك تعيين مصير بلادنا لنا
ونصرح للملأ أجمع اننا لانطلب سوى الاستقلال التام بلا حماية ولا وصاية ولا اشراف
ولا أقل شيء بمس باستقلالنا الخارجي والداخلي وبالختام نؤمل اننا لو اوثقون بمد الله دول
الحلفاء الكرام التي اعترفت بالاستقلال التام لكثير من الشعوب اليوم وأبدت مبدأ
القومية والمساواة بكل قواها بأن تنصف شعبا حارب مع الحلفاء جنبا لجنب من أجل
الاستقلال التام

هن الاتحاد السوري - واثق المؤيد . هبة الرحمن شهبندر . صمد الدين المؤيد .

نصوح المؤيد . هشام المؤيد

هن الاستقلال العربي - عبد القادر العظم . جميل مردم . أحمد قدرى . يوسف

صليبان مخيمر . أحمد مريود . رضا مردم

هن جمعية النهضة الادبية - سامي البكري عبد الرحمن الفرجلاني . نديم

الصواف . يحيى الشماخ

هن الهدى السوري - عبد القادر كيوان . أبو النصر اليافي . أمجد المالكي . حسني البرازي

[الدار: ج ٢١م ٢١] احتجاج الجمعيات السورية ٢٥١

- من العهد العراقي - جميل لطفي المحمد العراقي . اسماهيل نامق ، رشيد الخوجة
 من المؤتمر السوري - منيع هارون (اللاذقية) عادل الطائم (اللاذقية)
 ، قنبر رسلان (حمص) سعيد حيدر (بعلبك) حسين الماضي (فلسطين) فائز الشواي
 (عاصميا) عبد القادر الخطيب (دمشق) محمد المدرس (حلب)
 عن جمعية النهضة الفلسطينية - سليم عبد الرحمن ، الحاج ابراهيم ، محمد صالح المهادي
 من الجمعية البقاعية - هباج الهيماني ، عوض البقاعي
 من الشبيبة البيروتية - محمد الصانع ، أحمد مختار الفاخوري
 من التعاون الطبري - محمد الياسين ، هارف الدوهجي
 من الأسعاف الطبري - عبد الرحمن الدواليبي ، أحمد صبري
 من جمعية الاطباء - حسام الدين أبو السعود ، مرشد خاطر
 عن جمعية الصيادلة - منير المحايري ، حسني الجبل
 من جمعية المحامين - نجيب الحكيم ، سعيد حيدر
 من النداء الطبري - شكيب كحلة ، صالح الجبلاني
 عن جمعية المعلمين - محمد أبو الخير القوطي ، هباج البقاعي
 من جمعية طلاب المدارس - عبد القادر سري ، مصطفى الرقاعي
 من جمعية الاخاء الملوية - أديب التقي البغدادي ، محمد مرتضى
 عن خريجي المدارس العالية - المهندس درويش أبو المافية ، الزهاوي عمر شاكر
 من جمعية قتيان الجزيرة - عثمان قاسم (صاحب الاستقلال العربي) أحمد فؤاد المحاصني ،
 سعيد الحافظ ، رشدي الصالح ملحس « مدير جريدة الاستقلال العربي » أديب الصفدي
 من النادي التجاري - لطفي الحفار ، سعيد هبيد ، ياسين دياب
 عن الجمعية لزراعية السورية - هاشم المعري ، صبحي الحسيني
 من نقابة المصنعية - خير الدين زركلي « صاحب المفيد » أسعد دافر « صاحب
 المقاب » عجاج البعاني « صاحب الانقلاب » أبو الهدي الباني « صاحب الكنانة »
 من الحرف والنقابات - محمد كوكس ، محمد البرم
 من جمعية نهضة الطباعة العربية - معدي العمري ، محمود الجبلاني

﴿ صورة البيان الذي قدمته عائلات الشهداء للجنة الاميركية في دمشق ﴾

وقابلت هذه لاجنة يوم تقديمه

انا بالنظر لاتصالنا العائلي بشهداء سورية نستطيع ان نبين امام حضراتكم رغائبهم المقدسة التي هي ركن النهضة العربية السورية والاساس الذي بنيت عليه ثورتنا . والاجتماعات التي كانوا يعقدونها في بيوتنا مع اصحابهم والاحاديث التي كانت تدور في خلواتهم كانت ترمي دائما الى رفع الامة السورية والحصول على استقلالها التام . لهذه الغاية كانوا يعملون ولتحقيقها فادوا بانفسهم وعلى دماهم ارادوا ان يبنى اساسها . ان هذه لروح الشريفة هي لخميمة على الشعب السوري اليوم وهي التي تدير زعماء سورية وترشدهم في أعمالهم . وهانحن اولاد ثلاث اولئك الشهداء نطلب من ممثلي الشعب الاميركي الكريم الذي يعرف معنى الشهادة في سبيل الوطن ان يحققوا الآمال التي عقدناها عليهم ويلفوا الدكتور واسن حامل لواء الحرية انا لانريد الا الاستقلال التام . وكتاب الايضاحات السياسية الذي وضعه أحمد جمال باشا ليبرر فيه جنائياته التي اقترفها في سورية هو شاهد عدل على الغاية السامية التي كانوا يجهدون للحصول عليها .

الاشتراكية والبشافية والدين

كثرت البرقيات والصحف الاوربية في البشافية التي فشت في روسية وما جارورها من اوربة وآسية فوصفت بأنها عبارة عن فوضى وهرج وسفك دماء وانتهاك اعراض وسلب أموال بغير قانون ولا نظام . ونرى جميع الدول الراقية مخالفة من مبادئها الى بلادها ، وغلبتها على أنظمتها وقوانينها واديها ، فكان هذا الخوف والحذر مما أوجب الريب في صدق ذلك الدم والقصدح فيها ، لان تلك الممضات مخالفة لكل دين المستقبحة في كل عقل ، المباينة لكل أدب وعلم لا يخشى أن تهدم كل دين وأدب ونظام ، وسنة الله في بقاء الامثل والاصح التي

هي أساس سنن الاجتماع ، وقد عهد الناس من لسان السياسة ذم الحسن ومدح القبيح وغير ذلك من قلب الحقنق - لهذا نرى الناس يرجون من الباشفية خيراً وان لم يعرفوا حقيقةها ويودون لو يعرفون معناها ويقفون على أنظمتها نحارب انكساراً وأحلافها الباشفية بالقول والفعل والمال والدين ، وقد كلفت الشيخ محمد بنجيت مفتي مصر فأقنى في جواب سؤال بأن الباشفية محرمة في الاسلام وفي كل دين لانها عبارة عن لا باحة المطلقة للدماء والاموال والاعراض وجعلها عين المرذوقية والزردشنية التي ظهرت في أمة الفرس ، فرد عليه كثير من الكتاب الازهريين وغير الازهريين من الجهة التاريخية والدينية وغير الدينية وكثر خوض الجرائد المصرية في ذلك . ولكن الحكومة المصرية أخذت صورة فتواه الخطية بآلة التصوير الشمسي ونقشتها في لوح معدني وطبعت عنها نسخا كثيرة- لم يوزع شيء منها في مصر فالظاهر انها توزع في بعض البلاد الاسلامية الاسيوية التي سرت اليها الباشفية

وقد كثر سؤال الناس ايانا عن رأينا في الباشفية ما حقيقةها وهل هي ضرر وشر محض كما تقول السياسة والفتوى أم هل هي خير عام أو خير خاص بقوم وشر على آخرين فنقول :

ان الذي فهمناه من مجموع ما اطلمنا عليه في الباشفية انها هي عين الاشتراكية المقصود منها ازالة سلطان ارباب الاموال الطامعين وأعوانهم من الحكام الناصرين لهم الدين وضموا قوايهم المادية على قواعد هضم حقوق المال في بلادهم واستعمار بلاد المستضعفين من غيرهم ، وان معناها الحرفي «الأكثورية» فالمراد منها أن يكون الحكم الحفقي في كل شعب الاكثورية من أهله وهم المال في الصناعة والزراعة وغيرها ، وذلك بعد اسقاط سلطة ارباب الثراء والكبراء المشايخين لهم . وقد فعلوا ذلك في روسية بعد اسقاط دولة القيصرية الطاغية الظالمة التي لم يمنع مدعي الحكومات الديمقراطية من الفرنسيين والانكابين ظلها وطغيانها من محافظتها والاتفاق معها على اقتسام بلاد العثمانيين والفرس . وقد قام في البلاد من بقايا أولئك القيصريين من يناوئهم ويقفون على السلطة . ومن شأن أهل السلطة في كل بلاد أن يقاوموا الخارجين

٢٥٤ [الاشتراكية والاحطار المقبلة] [النار: ج ٥ م ٢١]

عليهم فيها بما يمكنهم من الشدة والبأس ، سواء كان ذلك الخروج بحق أو بغير حق ،
 فاذا كان للمطامع الشديدة في قسوة البلشفيين هنالك أصل كما هو الظاهر فهذا
 أحد سببين له وهو سبب لا تستطيع حكومة أن تبرأ نفسها من مثله . والسبب
 الثاني هو أنهم لم يكونوا متمرنين على الاحكام وكان الزمن زمن فوضى وقن وقهر
 عجزوا عن جعل قسوتهم . وشدتهم بنظام يمكن لاهله أن يسموها به بضد اسمه
 ونحن نجزم بأن أعمالهم وأنظمتهم لا يعقل أن تكون موافقة لاحكام الاسلام
 ولا للمسلمين المذعنين لدينهم أن يذهبهم فيها ، ولكن ليس خاصا بهم بل جميع
 القوانين الوضعية المتبعة في أوربة وكذا في الشرق كعصر والدولة العثمانية فيها ما يخالف
 الشرع الاسلامي ، والمسلمون يتمنون نجاح الاشتراكيين نجاحا يزول به امتداد
 الشعوب — وكلهم المال — وان كانوا ينكرون عليهم كما ينكرون على غيرهم كل ما
 يخالف الشرع ، على أنهم غير مطالبين عندنا بفروع الشريعة ما داموا غير مسلمين
 وانا ننشر هنا مقالة توضح ما أشرنا اليه من مقاصد القوم رأيناها في جريدة
 (سورية المتحدة) التي تصدر في المكسيك وهذا نصها :

« اقرأ أيها التاجر الكبير ما أكتبه اليوم بامعان وحكمة فان خطر الاشتراكية يمدق
 بكل هذه الكرة الارضية !

قول الامثال اللاتينية (ان صوت الشعب هو صوت الله) أعني ان الاكثرية
 متى أرادت الحصول على حاجة ضرورية لها أخذتها عنوة واقداراً لان الاكثرية
 هي الحقيقة والحقيقة هي القوة التي لا تقاوم
 تمر الدقائق والساعات والايام وفي كل يوم تمثل أمامنا روايات عديدة تفهمنا
 أن الحق لقوة وهذه القوة هي الاكثرية كما رأينا في الحرب التي أقامتها ألمانيا ، إن
 شعوب الارض حسبت أن ألمانيا تغلم الشعوب والانسانية بالحرب التي شهرتها على
 فرنسا وبلجيوم وسربية فانقلبت الاكثرية عليها ولم تخش قوتها العسكرية ولا
 استمداداتها الحربية من غوامات شيطانية وطائرات جومبية ومدافع ضخمة وبعيدة
 المرمى بل حملت عليها من كل حدب وصوب حتى أصبحت الاكثرية ضد ألمانيا
 وهذه الاكثرية هي الحقيقة كما أشرنا في بدء كلامنا

[المنار: ج ٢١ ص ٢٥٥] الاشتراكية والاختار المقبلة

والرأي العام اليوم أو الاكثريه هو الاشتراكية - والاكثريه هي توجه كلمة (بولشيفيكي) الروسية - وهذه تطلب بناء أركان ضخمة ودعائم ثابتة عادلة للسلام العالمي وشروط حسنة للمال في كل أقطاب الارض قلنا ان معنى كلمة (بولشيفيكي) هي الاكثريه وهذه هي الاشتراكية التي نحسبها من الاختار المقبلة

لا يعجب القارىء اذا قلنا له ان ٩٩ في المئة من سكان الكرة الارضية هم من الاشتراكيين أو البولشيفيكيين وهؤلاء هم الشعب الذي تقول الامثال ان صوته هو صوت الله، وهذا الشعب هو الذي يقرب الحكام ويثقل العروش ويسقط الملوك وهو الذي يحمي أموال الفنى ونسائه وبناته وأملأكه ومواسيه ومعامله بينادق أفراده ويضعي حياته في سبيل اكاثر أموال الاغنياء وزيادة أرباحهم

العمل . الشغل . هو نصيحة الآباء لابنائهم وفي المدارس يسم التلاميذ من مطلعهم صدى هذه الكلمة مرات عديدة في كل يوم من أيام حياتهم ، وكذلك الحكام يحثون الشعب على العمل لان به سعاده البلاد وبعبكسه خرابها قلنا ان الشعب العامل هو ٩٩ في المئة من كل سكان الارض ، وقلنا ان عليه تتوقف سعاده البلاد وخرابها وان هو الذي يرسل في الحروب لاقرار الامن ولاهائه المظلوم ومحاكمة الظالم . أفلا يجب على الاقل أن تقدس حقوقه وتحترم ويحصل على حاجياته الضرورية ؟ ؟

تقطع العلاقات الودية بين دولة وأخرى ويكون سبب ذلك طمع الواحدة بقيمة أرض غنية بالمعادن أو خصبة للأخرى وتكون هذه البقعة لاحد الاغنياء ، تسوق الاولى شعبها بزمنه لساحة الخنزير والفناء دفناً عن تلك البقعة لتحفظها للفنى . وتسوق الثانية كل شعبها لساحة الموت والدمار لتتزع تلك البقعة وتبيعها لمن متمول آخر في بلادها

يتترك العامل فأسه أو محراثه أو منشاره أو مطرقة ويتترك زوجته وأولاده وعائلته وبينه عرضة للجوع والعري والاهانة ويمتقل البندقية لملاقات الموت الزؤام بين لطلعة المدافع وصغير البنادق وودي انفجار الانعام وصليل السيوف وانفجار يتابع الدماء للدفاع

عن أموال الغني وأرضه ومناجه ومامله والنفي بخطر مشمخرا بين النفاق الوثيرة يعاقر كؤوس الخمر . ويتربع فرق الطنافس الناعمة لمداعبسة ناحلات المحصور ١١
بفعل الشعب كل هذا باسم الوطن وهو لا يملك من هذا الوطن شروى تقير
فيعود من المجزرة البشرية مقشمر الشمور شائب(ة) الرأس ناكل الجسم عيلا فيجد
أولاده وزوجته فريسة الجرع والبرد والاهانة فتقول له الحكومة اذهب واشتغل وهكذا
يقضي العامل الفقير أيام حياته بين الفأس والحراث لا يتكسب من وراء عمله أجورا
عادلة ولا يحصل الا على اليسير من رديء الغذاء وفضلات الكساء

مضت العمور والأجيال والشعب يتحمل كل هذا الشقاء والمناء ويحاول كسر
نير الاغنياء الفولاذي فتضر به الحكومات وهن شريكات الاغنياء بجرائمهم ومعاصيهم
فبرضى بجورهم عن خوف ورهبة لاعن عدل ورحمة

أما الآن فالشعب هو غير ما كان عليه بالامس فهو الذي يقبض على القوة
السلطة ويدير حركتها ويقبض على السلاح والذخائر والمخطوط الحديدية والمواصلات
ومئة مليون روسي في أخصب بقم الارض وأغناها بالمعادن وزيت البنترول والنفخ الحجري
تؤيد مطالب العامل وتؤاف أول حكومة شعبية في الارض دعك ان شعوب أواسط أوربة
أعلوا نضالهم للحكومات الشعبية وكذلك نرى العمال في فرنسا وإيطاليا وسويسرة
وفي كل أوربة أمبركة زاسية يطالبن اسة ط مكماتهم وانشاء حكومات شعبية (بولشفيكية)
وهم لا يخشون حكومتهم لان منهم الجندي والبنديقية بيده ومنهم البحار والسفينة وكل
ما يرايتقيد بأمره ومنهم سائق القطارات وصانع المدافع والقذائف بل ان كل شيء بيده
رسالة تتوقف انقلاب الحركة الارضية والثورة العامة لايجاد العدالة وأقرار السلام

ولأنهم هذا لا نشاء الحكومات الشعبية التي تشمر بمحاجات الشعب وتمترف بلوازمه
مهم انه لا يستطيع انشاء حكومات شعبية الا بعد أن تدعمر ثروة الاغنياء وذلك
لأنهم ومنهم مطالب الشعب العادلة فيضار هذا لاخذها بالقوة والارغام
ويستل الاغنياء في كل أقطاب المسكونة ولكن الشعب لا يظلمهم بذلك بل ان
ظلمهم في ان سيطرتهم المطلقة ينتج لهم هذه النتيجة

خلاصة معاهدة الصلح^(١)

٢

الفصل السادس

في أسرى الحرب

أسرى الحرب - تتولى لجنة تؤلف من مندوبي الحلفاء ومندوبي الحكومة الألمانية مع لجان فرعية محلية إعادة أسرى الحرب الألمان والملاكين المقتلين الى أوطانهم . ويرد الأمرى المالكين المقتلون من الألمان الى أوطانهم بلا تأخير بواسطة الحكومة الألمانية وعلى حسابها ، والذين حكم عليهم لذنوب ارتكبوها ضد النظام العسكري . قبل ١ مايو سنة ١٩١٩ يردون الى أوطانهم ولولم يكملوا المدة المحكوم بها عليهم ولكن هذا لا يسري على الجرائم المخالفة للنظام العسكري وبحق للحلفاء ان يبقوا عندهم ضباطا مختارين من الألمان الى ان تسلم الحكومة الألمانية الأمرى الذين ارتكبوها جرائم ضد قوانين الحرب وعرفها، وبحق للحلفاء ان يتصرفوا بما يتصوبون مع الرعايا الألمان الذين لا يرغبون في العودة الى أوطانهم، ويشترط في كل مسألة اعادة الألمان الى أوطانهم الافراج الممجل عن رعايا الحلفاء الذين لا يزالون في ألمانيا وعلى الحكومة الألمانية ان تسهل على لجان التحقيق جمع المعلومات من أسرى الحرب المنقودين ومراقبة الموظفين الألمان الذين أخفوا رعايا الحلفاء . وعلى الحكومة الألمانية ان ترد الى الأسرى من الحلفاء جميع أموالهم ويتبادل الفريقان الممتلكات عن المعلومات عن الأمرى الذين ماتوا وقبورهم القبور - يحترم الحلفاء وحكومات ألمانيا قبور جميع الجنود والبحارة المدفونين

(١) تابع لما نشر في الجزء الرابع

(المجلد الحادي والعشرون)

(٢٣)

(المنار: ج ٥)

٢٥٨ تبعة جنایات الحرب . التعويض والرد [المبار: ج ٢١٣٥]

في أملاهم ويمتزون باللحان المعينة لعناية بها ويساهدونها في مهمتها ويسهلون التسهيل المستطاع في نقل الرفات والدفن

الفصل السابع

في تبعة جنایات الحرب

يتهم الحلفاء علانية الامبراطور السابق وللم الثاني « بارتكابه الجريمة العظمى ضد الآداب الدولية وحرمة المعاهدات » وسيطلب من الحكومة الهولندية تسليم الامبراطور السابق وتؤلف محكمة خاصة من قاض واحد لكل دولة من الدول الخمس العظمى وتهدي هذه المحكمة بأسمى المبادئ في السياسة الدولية ويناط بها مهمة تعيين العقاب الذي ترى وجوب انزاله . ويؤلف الحلفاء محاكم عسكرية لمحكمة المتهمين بارتكاب فعال خرقوا بها قوانين الحرب وعرفها، وعلى الحكومة الالمانية أن تسلم جميع الأشخاص المتهمين بهذه التهم، وتعين كل دولة من دول الحلفاء محاكم كذده لمحكمة الذين ارتكبوا أمورا جنائية ضد رعاياها وبحق للمتهمين أن يبينوا المحامين عنهم وتمهد الحكومة الالمانية أن تقدم جميع الأوراق والمعلومات التي يقتضي ابرازها

الفصل الثامن

في التعويض والرد

ان الحكومات المشتركة تلقي على ألمانيا وحلفائها تبعة كل خسارة وهطل أصابا الحفاء والدول المشتركة معهم ورعاياهم من جراء الحرب التي سيقوا اليها باعتماد ألمانيا وحلفائها وان المانية تسلم بدمتها وتبعة حلفائها . ومع أن الحلفاء والحكومات المشتركة معهم يمتزون بأن موارد المانية لا تفي بتعويض هذه الخسارة وذلك الصبر لتفص مواردنا الناتج عن المطالب الأخرى المنصوص عليها في المعاهدة فانهم

بنته ضوئ منها التعويض من كل عطل أصاب الأهالي في الفئات السبع الكبرى الذلية وهي :

(أ) العطل الحادث من الأذى البدني للأهالي بسبب الأعمال الحربية المباشرة وغير المباشرة وفي جملتها القاء القنابل من الجو
(ب) العطل الذي أصاب الأهالي وفي جملته التعرض للبرد والموع في البحر من جراء أعمال القنوة التي أمر المدوّبها والعطل الذي أصاب الأهالي في الولايات المحتلة

(ج) الضرر الحادث من أساءة معاملة الأسرى

(د) الخسارة التي نزلت بشعوب الحلفاء وهي ممثلة بالمساعات والاعانات الممنوحة لعائلات الجنود اذا حوت الى رأس مال عند امضاء هذه المعاهدة
(هـ) العطل الذي أصاب الاملاك والاموال غير المهمات العسكرية البحرية والبرية

(و) الضرر الذي أصاب الأهالي بالسخرة

(ز) الخسارة الحادثة من الباص والغرامات التي فرضها العدو

وملاوة على ذلك تههد ألمانية بأن ترد جميع المبالغ التي اقترضتها البجيك من الحلفاء بسبب خرق ألمانية لمعاهدة ١٨٣٩ وذلك لغاية ١١ نوفمبر ١٩١٨ ولهذا الغرض سلم ألمانية في الحال الى لجنة التعويض ٥ في المئة ذهباً وسندات تستحق في سنة ١٩٢٦ (المعظم - يظهر انه سقطت عبارة هنا والمرجح انه جاء فيه ذكر الف مليون جنيه سندات). أما جهة المطالب دفعه من ألمانية كما هو مبين في كشف العطل والضرر فبعين ويبلغ اليها بعد ان تسمع أقوالها بالانصاف ويكون نسليه اليها من لجنة التعويض التي للحلفاء قبل ١ مايو ١٩٢١. وفي الوقت عينه يقدم كشف للدفعات التي يتعين على ألمانية دفعها في خلال ثلاثين سنة لتوفية ما عليها وهذه الدفعات عرضة للتأجيل اذا طرئ بعض الطوارئ. وتتعرف ألمانية اعترافاً قاطعاً لا رجوع فيه بما لهذه اللجنة من السلطة التامة وتقبل ان تمدّها بجميع المعلومات

اللازمة وتسن القوانين لتنفيذ قراراتها وتقبل ان ترد الى الحلفاء النقود وبعض الاشياء التي تمكن معرفتها، ومن الامور المعجلة التي يطلب من ألمانيا عملها في سبيل رد الشيء بها تدفع في خلال سنتين الف مليون جنيه اما ذهباً أو بضائع أو بواخر أو غير ذلك من أشكال الدفع المعينة وهذا المبلغ يدخل في سند الالف مليون جنيه المشار اليه في ما تقدم ولا يكون علاوة عليه مع العلم بأن بعض المصروفات كمصروفات جيوش لاحتلال وثمان الطمام والمواد الخلام قد نحسم اتباعا لما يستصوب الحلفاء .

ولجنة التعويض في تقدير مقدرة ألمانيا على الدفع في الآجال المعينة تفحص نظام الضرائب في ألمانيا أولاً وتقرض من ذلك ان تجعل المبالغ التي يطلب من ألمانيا دفعها للتعويض هباتاً على جميع ايراداتها قبل ان يصرف من هذه الايرادات شيء في تسديد فائدة ديونها الداخلية أو استهلاك شيء منها . وثانياً تتأكد اللجنة ان اللجنة الألمانية هي بالاجمال بالغة من الكبر النسبي مبلغها في بلاد أية دولة من الدول التي لها مندوبون في اللجنة . هذا والتدابير التي يحق للحلفاء والدول المشتركة معهم اتخاذها اذا تقاعدت ألمانيا باختيارها عن دفع الاقساط المطلوبة والتي تعترف ألمانيا بأنها لا تمد أعمال حرب تشمل القيود الاقتصادية والمالية ومقابلة الشيء بمثله، وبالاجمال جميع التدابير التي تعدها الحكومات المذكورة لازمة في تلك الاحوال . وتتألف هذه اللجنة من مندوب عن كل من الولايات المتحدة وبريطانية العظمى وفرنسة واطالية والبلجيك ومندوب عن سرية واليابان بحل محل مندوب البلجيك حينما يقع ما يمس مصالح إحدى هاتين الدولتين . ثم ان سائر دول الحلفاء يحق ان يكون لها مندوبون في اللجنة متى نظر في مطالبتها ودعاويتها من غير ان يكون لها حق الاقتراع وتبجز اللجنة لالمانية ان تقيم اللجنة على مقدرتها على الدفع وتوسع لها المجال لابتداء حججها ويكون مركز هذه اللجنة في باريس وهي تضع نظام اجرائتها وتعين موظفيها وتخدمها وتكون لها الرقابة العامة على مسألة التعويض كلها وتصير الوكيل الوحيد للحلفاء لاستلام التعويض والدفع وحيازته وبيعه وتوزيعه

وتكون قرارات اللجنة بالإلزامية وإنما بشرط الاجماع في المسائل التي تمس سيادة حليف من الحلفاء واعفاء ألمانيا من جميع ههوها أو من بعضها وتعيين مواعيد بيع السندات الصادرة من ألمانيا وكيفية بيعها وتوزيعها وصرفها وتأجيل الدفعات السنوية بين سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٦ الى ماوراء ١٩٣٠ وتأجيل الدفعات بمدد سنة ١٩٢٦ لمدة ثلاث سنوات وتغيير أسلوب تقدير العطل والخسارة وتفسير الشروط. ويجوز للدول سحب مندوبيها من هذه اللجنة اذا اعلنت عزمها على ذلك قبل وقوعه باثني عشر شهرا. ويجوز للجنة ان تطلب من ألمانيا ان تعطياها من وقت الى وقت على سبيل الضمان والتأمين سندات لتسديد المطالبات التي لم تسدها. ولهذا الغرض ولاجل بيان مجموع المطالب من المانية تطالب الآن بأن تقدم سندات تعرف فيها بالمبالغ المطالبة منها وهي الف مليون جنيه انكليزي تدفع قبل انقضاء أول مايو ١٩٢١ بلا فائدة والفا مليون جنيه انكليزي بفائدة $\frac{1}{2}$ في المئة بين ١٩٢١ و ١٩٢٦ ثم تصير الفائدة ٥ في المئة ومال الاستهلاك ١ في المئة ويبدأ الدفع سنة ١٩٢٦. وتعهد المانية بأن تعطي سندات بألفي مليون جنيه انكليزي آخر بفائدة ٥ في المئة وبشروط تعينها اللجنة فيما بعد

وتكون الفائدة على هذه الديون التي على ألمانيا ٥ في المئة لا اذا عينت اللجنة فائدة أخرى في المستقبل والدفعات التي لا تدفع ذهباً يمكن للجنة ان تقبل فيها بدلا من الذهب أملاكا وبضائع وحقوق انجار وامتيازات الخ ويجوز للجنة ان تصدر للدولة صاحبة الشأن شهادات تمثل السندات أو البضائع التي أخذتها من المانية ومنى انتقلت السندات من حيازة اللجنة ووزعت على الدول يعتبر ان ما يساوي قيمتها من دين المانية أوفى

البواخر - تعترف الحكومة الألمانية بأنه يحق للحلفاء ان يطالبوها بتعويضهم من جميع البواخر التجارية وسفن الصيد التي فقدت أو عطلت بسبب الحرب وان يطلبوا منها ان تبدلها بما يساويها طنا بطن وطرزا بمثله وتقبل ان تسلم الى الحلفاء جميع

البواخر الألمانية التي جهزتها من ١٦٠٠٠ طن فصاعدا ونصف بواخرها التي جهزتها بين ١٦٠٠٠ و ١٥٠٠٠ طن وربع بواخر الصيد سفن الصيد وتسلم هذه البواخر كلها بعد شهرين فدية التعويض مع عقود التنازل الدالة على نقل ملكية البواخر خالية من كل عبء

وعلاوة على ذلك من قبيل التعويض قبل ألمانيا أن تنفي بواخر لحساب الحلفاء الى قدر لا يتجاوز ٢٥٠ ألف طن في السنة في السنوات الخمس التالية وترد جميع البواخر النهرية التي أخذتها من الحلفاء ويكون ردها في خلال شهرين . وكل خسارة تكون قد أصابت هذه البواخر تعويضها ألمانيا باعطاء جانب من بواخرها النهرية لا يتجاوز عشرين في المائة منها

الولايات المحرقة - تهود ألمانيا بأن تقف مواردها الاقتصادية على تعمير الولايات التي غزتها وتكون للجنة التعويض السلطة بمطالبة ألمانيا بتعويض مدمر بقليم الحيوانات والآلات الخ الموجودة في ألمانيا وصنع المهمات المطلوبة للتعمير مع مراعات حاجات ألمانيا الداخلية الضرورية

الفحم الخ - على ألمانيا أن تسلم الى فرنسا مدة عشر سنوات من الفحم ما يساوي الفرق بين ما كان يستخرج سنويا من الفحم من مناجم النور وباد كاله وما يستخرج منها سنويا لمدة نحو عشر سنوات . ثم ان ألمانيا تعطي لفرنسة الخيار لمدة عشر سنوات بأن تسلم سبعة ملايين طن من الفحم سنويا لفرنسة علاوة على ما تقدم وتسلم ثمانية ملايين طن للبلجيك وتسلم ايطاليا لها بمختلف مقاديرها من ١/٣ و ١/٢ مليون طن في سنة ١٩١٩ و ١٩٢٠ الى ١/٤ مليون طن في سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ بأن تعين تعين حسب ما هو وارد في المعاهدة . ويجوز أخذ فحم الكوك بدلا من الفحم على نسبة ٣ أطنان منه لاربعة أطنان من الفحم . ونص أيضا على تسليم البترول وقطران الفحم ومنتجات الامونيا الى فرنسا لمدة ثلاث سنوات . وللجنة السلطة بأن توجه تسليم هذه المقادير أو تلفيه اذا كان تسليمها يعرقل مطلوبات الصناعة في ألمانيا الاصباغ والمقايير - تعطي ألمانيا اللجنة حقا بأن تأخذ من الاصباغ والمقايير

وفي جملتها الكيما نصف الموجود منها في ألمانيا في وقت الشروع في تنفيذ المعاهدة وتمطيا حقا كهذا كل ستة أشهر من السنة الى سنة ١٩٢٤ بحيث لا يتجاوز ٢٥ في المئة مما يكون قد صنع في الأشهر الستة السابقة

الاسلاك التلغرافية البحرية — تنازل ألمانيا عن كل حق لها في أسلاك معينة وتقيد قيمة الاسلاك التي لها أصحاب من الأفراد أو الشركات لحساب ألمانيا وتطرح من التعويض المطلوب منها

نصوص خصوصية — تعويضاً من تدمير مكتبة لوفان تقدم ألمانيا من الكتب المطبوعة والكتب المطبوعة القديمة والصور الخ ما يساوي ما أنف في المكتبة المذكورة وزد على ذلك ان ألمانيا تسلم الى البلجيك الجناحين الخاصين بمذبح موجود في المل الذي صنعه هونرت وجان فان أيك وهما موجودان في برلين الآن ووسط هذا المذبح موجود الآن في كنيسة القديس بافو في غنت وكذلك الجناحين الموجودين الآن في برلين وهونمخ وهما من مذبح يمثل المشاء الأخير صنعه درك بوتس والقسم الأوسط من هذا المذبح موجود في كنيسة القديس بطرس في لوفان

وعلى ألمانيا أن ترد الى ملك لجزا في خلال ستة أشهر مصحف الخليفة هيمان الذي كان قبلا في المدينة وترد الى الحكومة البريطانية جمجمة السلطان مكري التي كانت قبلا في شرق افريقية الألماني وترد الى الحكومة الفرنسية الاوراق التي أخذها ولاية لاوور الألمان سنة ١٨٧٠ وهي للمسيو روهو وترد الرايات الفرنسية التي أخذتها في حرب ١٨٧٠ — ١٨٧١

الفصل التاسع

في المالية

ان الدول التي ساعدت ألمانيا لتحمل جانباً من الدين الذي كان على ألمانيا قبل الحرب وهذا المبلغ نسبة لجنة التعويض على قاعدة النسبة بين إيرادات الالامك المقطعة ومجموع إيرادات ألمانيا في السنوات الثلاث السابقة للحرب ولكن

نظرا للاحوال المصعبية التي ساءت فيها الازماس واللورين عن فرنسا سنة ١٨٧١ لما آبت ألمانيا أن تحمل شئ من دين فرنسا العمومي ففرنسة لأتحمل شيطان الدين الذي كان على ألمانيا قبل الحرب ولا تحمل بوندة شطرا ما من الديون التي استدانها ألمانيا للاستبداد ببولندا . أما قيمة أملاك الحكومة لألمانية في البلاد التي تنازلت عنها فهذه بالأجمال تحسب لألمانية في حساب التعويض الأفي الازماس واللورين حيث لا يقيد شئ كذا الحساب الحكومة الألمانية . أما الدول الموكلة فلا تحمل شيئا من ديون ألمانية ولا تقيد شيئا لحسابها مقابل أملاك الحكومة الألمانية وتتنازل ألمانية عن كل حق في تعيين مندوبين لها أو السيطرة على بنوك الحكومة أو الألبان أو غير ذلك من الماهد والجميات المالية والاقتصادية

وعلى ألمانية أن تدفع جميع مضم وقت جيوش لأحتلال من تاريخ الهدنة مادامت هذه الجيوش مرابطة في بلاد ألمانية ويكون المبالغ الأزم لتسديد هذه المصروفات أول ما يؤخذ من إيراداتها وتتلوه بمبالغ التعويض بعد دفع أمان الواردت التي يمدها المانحة . لازمة لألمانية . ويجب دلى ألمانية أن تسلم لى دول الملقاء جميع المبالغ التي أوردتها تركيا وفرنسا والمجر في ألمانية لأجل المهادة المالية التي ساعدتهم ألمانية بها في أثناء الحرب وأن تنقل لى ملكية المانحة جميع المطالبات التي لها قبل الحرب وبغرضية وتركية من جراء الأتمقات المبرمة بينها في أثناء الحرب وتؤيد ألمانية تقضى معاهدة في بخارست وبرست لتوفدك وبها على طلب لجنة التعويض تنزع ألمانية ما أراياها من حقوق الملكية أو المصلحة في المنافع العمومية في البلاد التي تنازل عنها وفي البلاد التي سديرها دول الملقاء بالوكالة وفي تركية والصين وبروسية وفرنسة والمجر وإفريقية وتنقل هذه الحقوق والمصالح الى حيازة لجنة التعويض وهذه ألهجة تقيد لها قيمة ذلك بالحساب وتعهد ألمانية أن تسدد الى البرازيل التي نجحت من بيع بن سان باولو وكانت قد آبت على البرازيل أن تسحب من ألمانية

(لها بقية)

لا قوة الا بالاتحاد^(١)

كونوا جميعا يابني اذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى القداح اذا اجتمعن تكسراً واذا افرقن تكسرت أفرادا
(أكرم بن صفي)

أنشد الحكيم العربي هذين البيتين عندما شعر بدنو الاجل . فلخوفه على أولاده من التفرق دعاهم لسماع وصيته الاخيرة . وكان قد استحضرا ضمانة من السهام فطلب اليهم ان يكسروها فلم يقدر واحد منهم على كسرها . ثم بددها فاستسهلوا كسرها فقال لهم : كونوا مجتمعين ليعجز من ناوأكم عن كسركم كما عجزتم عن كسرها . فذا تفرقتم سهل كسرهم وضاع قدركم وهان أمركم . فيا حذوا لو اقمتم العرب بشعر حكيهم واتصحوا بأنفع النصائح . اذاً لما فقدوا الملك والخلافة . واشتغلوا عن الحوادث والحدثان بأحاديث خرافة . فبين التنازع والتقاطع خرابوا مما حثتهم بأيديهم وقد كانت أعظم مملكة ظلمت عليها الشمس ، وينا كانوا أسباد الشعوب اذا هم عيد الترك والروم . لكنهم صبروا على الامادي وصبروا غور الموادي . فوهم تلقهم بأهداب عربتهم ونسكهم بأستار كبتهم . فحفظوا بكتبتهم وأقلامهم ما كان دونه تكبير سوفهم ، وتكيس أعلامهم . فالحمد لله على بقاء القوة كامنة في صدورهم لينوا قصورهم على قبورهم . وان في حفاظهم على العصبية أساس الوحدة العربية

لا قوة بلا اتحاد ولا اتحاد بلا اتفاق وانما الاتفاق بحسن التقام وصدق التساهل وذلك ميور للذين رجحت أحلامهم وكرمت اخلاقهم . فعلى العرب ان يتفقوا ويتحدوا بالتي هي أحسن اتلافي التي هي أقبح . والا اعتلت عريتهم وانحلت هصيتهم ، فأصبحوا لا يعرفون أوطاناً ولا يعرفون أعلاماً . السبل الأوربي يكاد يطنى عليهم ويفرقهم كما تفرقت أيدي سبا . وانه لا أكثر خطراً وأشد هولاً من سيل العرم الذي

(١) للكاتب الفاضل «الوايد بن طعمة» صاحب الروح العربية العالية عن العدد ١٤ من «سورية الجديدة» الصادر في البرازيل في أول ايار (مايو) سنة ١٩١٩ (المجلد الحادي والمثرون) (المناز: ج ٥) (٣٤)

أجحف التبابعة ومزق ملكهم فلبينوا له من لسانهم وقرآنهم سداً امنن من سد مأرب . وما استناموا الى الاوريين رأوا منهم أصلاً لا وثعابين . وكفى بنكبة اخوانهم عرب القرب عبرة وانذاراً . وهن فظائع الصايبيين في الماضي يعرفون مقدار فحشهم في الآتي ، فما أقرب الغد من الامس والخطر أدنى من قاب قوسين . الفرنج يضر بون أحماساً لامداس ويستضعفون العرب لتخاذلهم . فلا قوة لهم الا بالانحد وتوحيد حكاهم وبلادهم

قيل ان زرقاء اليمامة كانت تبصر الشيء من مسير ثلاثة أيام . فجهز حسان ابن تبع جيشاً وسار الى غزو قومها جديس . فصعدت ونظرت الى الجيش فرأت كل رجل قد حمل شجرة ليلبسوا عليها فقالت أنتكم يا قوم الاشجار أو أنتكم حجر فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم . وأبي لقومي نذير لثلا يحل بهم ما حل بقوم الزرقاء . لقد علموا أن بين زرق العيون وسودها عداوة جراثيمها في المروق فكيف بركن العربي الى الفرنجي وهو العدو الازرق وبينهما من المباينة مالا يزول بالملاينة . فليحذر العرب خشونة القلانس بعد ليونة الملامس ، ان الفرنج يهانعونهم لينالوا منهم أرباباً ثم يقولون لا نعرف عربياً . المثل يقول : من جرب مجرباً كان عقله مخرباً . فأبي شغب لم يجربهم ويتأكد أن أعمالهم تخالف أقوالهم فاذا دخلوا أرضاً مزقوها واذا حكموا أمة مزقوها . وبعد ما تركزت أعمالهم وتفردت أقدامهم يستبدلون العنف من الرفق والقوة من الخدعة . فويل للعرب من الفرنسيين والانكلترا اذا لم يوحدوا كلمتهم توحيدهم لله

لو حفظ العرب عصبيتهم في الاسلام كما حفظوها في الجاهلية لظلوا حتى اليوم أهل السيادة والتميز . لكنهم أضاعوا الدولة والخلافة بتحكيم الغرباء وتسليم الامور الى الدخلاء ، فأصبحوا محرومين من ملك بني علي أجسادهم وأكبادهم ، وصاروا الى الفرس والترك ولا كراما فتحته بيوف أجدادهم . والبلية من سياسة الخلفاء الخرقاء بتقديم المعجم على العرب واعتمادهم على المماليك في السياسة والحرب ، فلو جعلوا الاحكام للعرب دون غيرهم اهانوا شرفهم وشرف العروبة والخلافة . وقد ظنوا دولتهم اسلامية تقوم بالمسلمين من جميع الشعوب . فما كان الاسلام شافماً لهم عند نزرة

الشعوية ونمرة المصيبة . وهكذا أسقطوا العرب وأبعدوهم فسقطوا اذلاحاة للدولة
الا الذين بنوها . والدولة التي يترجم في دسئها الاجانب صائرة الى انحلالها
واضمملاها . لما قتل باغر التركي المتوكل على الله رثاه المهلبى بقصيدة قال في آخرها
يخاطب بني العباس

فلوجعتم على الاحرار نعمتكم حتكم السادة المركوزة الحشد
قوم هم الجذم والانساب تجمعكم والمجد والدين والارحام والبلد
لقد صدق المهلبى فليس للمرء الا أهله وقومه في الشدة . ان معن بن زائدة
الشيابى قاتل المنصور مع ابن هبيرة نصره لبني أمية . فاشتد طلب المنصور له وهدر
دمه فاخفى زمناً طويلاً وبعد ما قتل المنصور أبا مسلم ثار عليه الراوندية وقصدوا
قصره ليقتلوه ، فبرز البطل العربي معن بن زائدة متلماً وقاتل المصابة الفارسية وحده
حتى ظفر بها ومزق شملها . فتمرد الفرس على الخليفة العربي أنساه العداوة، فسان
وقار الخليفة والعرب، وبما عنده من النخوة العربية والفيرة المصيبة ركب مركبا
خشناً وأبلى بلاء حسناً ، فلو كان حول الخلفاء حاشية وجند من أحرار العرب لما
تطارات اليهم أيدي الظلم والمالِك . وقد كان سقوط الدولة العربية لبعمد العرب
عنها وتفرقهم واتقسامهم ، فالدولة لا تقوم الا بالائحاد الاصلاحاً وابعاد الدخلاء

عسى أن يكون للعرب عبرة من الماضي فيجددوا ويؤسسوا دولة عربية خالصة
فيما تخلو من الشوائب تجلو كل النوائب . ويصير المرني سيداً واليه المقدر والمال
والهي والامر تنصدر الاحكام وتنصدر الحكام من العرب للعرب في كل أرض
شرفت بالمروبة وتشرفت بالاستعراب، وبمحكم انشرع يكون فيها عربياً كل مولود
ومكتوب ومصكوك . وتظلها الراية التي طلعت من بطحاء مكة سوداء خضراء بيضاء ،
لقد كان سوادها وقراً واخضرارها رجاء وبياضها هدى وسلاماً . فتحتها يجب ان
يتم ائحاد العرب في الشرق والغرب وهي المشرع واليه المهرع . ولا عزة للمسلمين
من غير العرب الا بها لانها راية الخلافة العظمى ، فما أحرامهم بأن يتراجموا اليها
ويقسموا اليها المبين عليها مستعربين لغة كما استعربوا ديناً ، ان باندماجهم في أمة
الرسول شرفاً لهم فوق شرف ، هكذا تنبسط الدولة العربية الكبرى ولها جناح في

المشرق وجناح في المغرب ، فبرسوا أصلها وتمتد فروعها بمبمش مرصوص وأسطول
مرصوف ، فنظل عربية عربية عرباء لادخلوا فيها ولا غرباء

على العرب ان يحققوا هذه الاماني ولو كانت دونها المايا ، تاريخهم مكتوب
بدم اجدادهم فايكتبوا بدمهم وصية لا اولادهم ، فاذا عجزوا عن اتمام خطتهم انبها الآتون
بدمهم فلا شوب آجال تقصر عندها أجيل ، وما كان العرب ليخشوا محذورا اذا
طلبوا محظورا ، انهم جبارون أصحاب بأس و بطش ونجدة وشدة فلو كانوا متحدين
متعاونين لسدوا كل ثغرة وصدوا عدوا له شرفرة . فطالما حاربت قبائلهم دولا ذوات
جحافل وأساطيل ، فأطلقوا الالهة وشرعوا الاسنة نجاه قذافة النار ، فكانت سواهم
أشد من قوهات المدافع وأذك ، فشهد لهم أعداؤهم بالبسالة والنصر ، والفضل ما تشهد
به الاعداء ، أجل ان الاعاجم يرهبونهم على افتقارهم وتفريقهم فكيف اذا وحدوا
أوطاننا واتحدوا أعوانا ، حينئذ تكون لهم أيام كأيام حليمة وذوي قار والبرموك
والقادية وشريش وعروبة ، فما أكبر ذلمهم في خضوعهم للترك والروم بعد شرف
راسخ ومجد بازخ ، وقد كانوا في جاهليتهم أسيادا وابطالا فلم يجسر الغزاة على وطء
أرضهم وهي كبرية الاسود ، فوقف غزاة الفرس واليونان والروم متأهين متهمين
على حدود البادية الرهيبية ، وظلت الامة العربية بكرًا حرة في رمالها وجبالها

كانت قوة العرب بشدة انحادهم وصحة اعتقادهم لا بدكرة المدة والمدد ، فقد
كسرت شرادهم جيوشا جرارة وفتحوا في ثمانين سنة مالم يفتحها الرومان في ثمان مئة
وكانو يتغلبون بصبرهم واقدامهم وانحادهم على القواد المجرين والاجناد المدربين .
فحكوا ثمة مليون من البشر وعددهم لا يربي على مئة ألف ، وكانت أوامر الخلفاء
تصدر في دمشق وبغداد وتنفذ في الهند والصين والاندلس ، وقد حدد أبو تمام
دولة الخلافة في أيام المعتصم بيت من قصيدة مدحه بها قال

فهدد لخارون الخلافة انه سكن لوحشتها ودار قرار

والصين منظوم باندلس الى حيطان رومية فلك ذمار

هذه حدود الدولة العربية التي شيدها جبابرة العرب فدمها مماليتكم وما
رعبها مماليتكم . وقد كان أوائلهم متمسكين بالذات متمسكين . ولما

صاروا أحزاباً غدت مملكتهم أقساماً ، فطعم بها الطامعون وليس للفتنة قاعون ، وكانوا متحاسدين في الرئاسة ، متخالفين في السياسة ، فضعفوا بتقاتلهم ونحاذلهم وعاونوا أعداءهم على نفوسهم ، وما فقدوا ملكهم الا لانهم أرادوا أن يكونوا جميعهم ملوكاً وأمراء ، وتلك عزة عربية لا تزال حتى اليوم حائلة دون اتفاق أمرائهم لا تقوم للعرب قائمة حتى يوم الدين اذا لم يعتصموا على الاجانب ، وربما ذهبت لغتهم وأخلاقهم وأوطانهم بمد ذهاب دولتهم ، فلاروم كرة بعد كرة في حرب صار فيها العربي حرياً ، ان في قصيف المدافع مواظب لهم فليتهم يتعظون ، وان يكونوا ضمفاً في الحكم تكن لهم قوة من بغض أعدائهم وحب بعضهم لبعض ، ان من البغض لقوة أكبر من قوة الحب هند اصطدام المنازع ، فايامهم والاعتزاز بمواعيد الاوربيين فالافاعي ماله جلودها حادة نيوبها ، انهم يظهرون لنا حتى اذا فازوا وحازوا قبضوا بايد من حديد فلا تمتق الامة الضعيفة من الرق ولا تنطلق من الامر وقد حجروا عليها وحجزوا سلاحها ، يصنعون السلاح وكالساح يبيعونه أحقر الجمهوريات الاميركية وأصغر الممالك الاوربية ، فيمه حلال عندهم لاهل الجبل الاسود في أوربة وأهل البرهواي في أميركة ، ولكنه محرم على الشعوب الافريقية والاسبوية التي ملكوا نواصيها ، وبمد شك سلاحهم ينزعون ما عندها من السلاح ويمنعونها من أن تصنع أو تشتري ، فتصبح عزلاء تحت رحمتهم وقد أحاطت بها القلاع والمدافع فويل للعرب اذا علق العرق الفرنسي بأرضهم قامت واشتد لقد ناموا مستسلمين الى الاقدار والاوربيون ينصبون أشراكا ويطرحون شبابك ، ولما استيقظوا أبصروا الاساطيل تدمر ثغورهم والمدافع تمحصد صفوفهم ، فايقنوا أن لا طاقة لهم عليها بسيف رقيقة ورماح دقيقة ، وقد جنى الاثراك على نفوسهم وعلى العرب لانهم ضعفوا وأضعفهم معاه فوثب الفرنسيين والانكليز هليها وعاثوا في بلادهم وعيثوا بحرماتهم فهلا علم العرب أن لاحق الا للقوة وبالقوة وأن لا قوة بلا اتحاد ، لا ريب بأنهم ضعفاء اليوم ولكن لهم قوة بانحدام فوق قوة السلاح فليجمعوا آمالهم وعواطفهم كما جمع الاوربيون قواصف ثمر قذائف ، فيمد الحفيظة والحفاظ يرون فجر الحرية منبلجا وجيش اليهودية منفلجا ، واذا توسلوا بالقوة

الادبية توصلوا الى القوة المادية ، فعلى هذا المنهج صار الذين كانوا من المغضوب عليهم
والضالين ، فلتتوغل العروبة نفوسهم كلما توغل الفرج بلادهم ، فإما ان يعيشوا عربا
واما ان يموتوا عربا

أليس من الغبن والحيف ان تلم أحدث الامم شعنها ، ولا ترى أقدمها وأشرفها
بعد الموت بشها ، أما كفى الامة العربية شتاؤها بحكم الترك حتى تصير أشقى بحكم
الروم ، الله أكبر على الذين يمزقون بلادها ويفرقون أولادها ، فلا سبيل الى العزاء
والصبر لا يفرج الهم والخطب قد ادلمهم ، واني ذلك والعرب البيض الوجوه الشم
الانوف عيب وقد صار الزنج في أميركة أحرارا ، الا تكون لاءظام السلالات دولة حرة
جامعة ولاخرها دول شتى في القارتين الاوربية والاميركية ، ألا يشفع للعرب فضاهم
على الافرنج بما أخذوه من مدينتهم وعلومهم وآدابهم ، ألا يعرفون لهم جميلا بدماء
أهرقوها وأكباد أحرقوها في القود عن حياضهم؟ لا ورب الكعبة فالحق يعرفه المرء
ضميما وينكره قويا ، قتل للعرب انهدوا وتصبروا أقوىاء واتصفوا من أهل القوة
بالقوة ، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد)
لا خلافة لكم في هذا الخلاف ولا دولة والحصام بينكم والاعاجم خصومكم فشدوا
دولة ذات عز وسلطان ولا ترضوا بالسلطة الا من السماء ، بثت الحكومة اذا كان
الاجني فيها حكما وبئس الخليفة اذا كان صنما لا جلال ولا مهابة للخلافة الا بأمثال
عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان وهارون الرشيد وعبد
الرحمن الناصر ، ولا منعة للدولة الا بأسطول بحمي الثغور ويخوض البحور ، وأميره
مثل حميد بن معيoub الذي عقد الرشيد له اللواء ، ولا سطوة للملك الا بنخبين
يقوده أمثال خالد بن الوليد وأبي هبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وأسدي بن عبد الله
ومحمد القسري وموسى بن نصير والحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم ويزيد بن
مزيد وأبي سعيد محمد بن يوسف

بائحاد العرب واتفاقهم تتألف الدولة العربية الكبرى ، فعم الحجاز واليمن ونجداً
والشام والعراق والموصل وديار بكر ، وتنضم اليها كل أرض تغلبت فيها العروبة وكل
أرض أراد أهلها ان يستعربوا ، هذه خريطة الدولة العربية في آسية حتى توضع لها

خريطة في افريقية قد سيطر في الشرق والغرب ، وتنظم البلاد العربية انتظام البلاد الالمانية بدهاء بسمرك والايطالية بسياسة كافور ، وليس الامر بمسير على سلاطة كبيرة قديرة كالسلاطة العربية فقد كاد يتم على يد عبد القادر ومحمد علي لولا معاكسة الفرنسيين والانكبابز وأهل أوربة أجمعين ، فقد كانوا ولا يزالون ساعين الى احباط مساعي العرب خشية من سطوتهم وبطشهم ، ولولا مساعدة الأوربيين ما ظل الأتراك متحكمين بهم وبسائر الشعوب ، لقد كانوا جميعهم على الأتراك في أوربة ومعهم في آسية ، وطالما ادعوا حماية النصارى في الشرق ولم يكتفوا المذبح الارمن وما لبوا لهم دعاء لكنهم لاهواء فاسدة انجدوا أهل اليونان والبلقان وعاونوهم على نيل استقلالهم ، وما كان أولئك أقوى من العرب والارمن وأصلح للحكم ولا هم أهل مدينة وثروة وساطان ، أما المطامع والمآرب جعلتهم يدوسون حقوق الشرقيين ويدسون لهم ، وهذا يوسف كرم البطل اللبناني قد خاتته فرنسة ذات الوجهين واللسانين ، فهي التي عا كسته وشا كسته وقضت عليه بذل الامر ووحشة المنفى ، فقد لا يئته وخادعته حتى استسلم ثم أترضت منه إعراضا ، واذ كانت طامعة بامتلاك لبنان خافت ان يفضي الامر اليه ، فأغرت به طائفته وبطربيرتها فكانوا شر أعدائه وما عرفوا له قدرا ، هذه حقيقة ساطمة وحمجة فاطمة فلا اعتراض ولا اقتراض

هكذا الفرنسيين والانسكارز يفرقون الشرقيين شذر مذر قتل للعرب الحذر الحذر . فأنحدوا الخذا متين تسلّم أوطانكم وأعراضكم ، وقاوموا بواجبهم ومدافعهم ومناطيدهم بتاريخكم وافتكم ودينكم وأخلاقكم ، فاذا حفظتموها حفظتكم وهي عليكم محافظة مادمنم عليها محافظين ، قال بسمرك غلبنا الفرنسيين بالمدارس ، والمثل العربي يقول المدارس غلب الفارس ، فادرسوا وأثبتوا ولكم حق ويقين حتى يكون يوما فتح من الله ونصر مبين ، حينئذ يجتمع أمراؤكم ويجمعون أوطانا ويأبسون سلطانا ، فبقى لكل أميرامارته وتمدلى كل ولاية حقا ، فقتل بادارتها الداخلية وتبعث نوابها وأعيانها الى مجلس الشورى ودار الندوة ، ويكون مرجع الولايات كلها الى حكومة مختاطة عاصمتها إحدى المدن العربية الكبرى . وينظم جيش بحري وجيش بحري من جميع طوائف العرب ، والمناصب للذين هم أهل لها دون تمييز

في الدين والبقعة فلا فضل لمربي على آخر الا بما أوتيه من المواهب وبما يأتيه من الاعمال ، هذه خطة أرسنها ربما ويدها البعض هوسا ووهما ولكنها ستصير حقيقة فالليالي حبالى يادن كل عجية ، ولا بد من ان ينهض العرب كاليابان في السلالة الصفراء بأفضل من السمراء

هذا اتحاد مقدمس ير يده كل العرب ولكن الفرنسيس والانكليز لا يريدون فكن العباد عيدهم والبلاد تليدهم، فيعطوا ويحرموا ما يشاؤون ومن يشاؤون ، أبدا يفتشون للشعوب قبورا ويقولون تمدن همجاً ونمر بورا، قمرهم يعصبون ويعتصبون متغزلين بالحرية والمدنية، فتي يستريح الناس من هذه الاغنية التي غلب الفرنسي بها الشيطان ، كنا ظنناهم قد تابوا الى الله والمظلومين بعد ما طمعتهم ألمانية وحطمتهم ، فإذا هم طامعون بالذراع بعد الكراع وقد أفلتوا من البرثن واللاهوت ، بالامس كانوا يشكون ظلمها معولين على الامبركان معولين واليوم يتلمذونها بأشد من ظلمها وينقضون عهد نصراتهم اذ تحفزوا الملك رقابهم وحكم بلادهم ، وهكذا يجزون الاحسان بالاساءة ويقابلون الثمر بشر أعظم ، لقد نهبوا ألمانية وسلبوها ولو استطاعوا لسحقوها وخنقوها، فأبي فضل لهم اذا لم يعفوا عن مقدرة والعفو من شيم الكرام

أما العرب فكانوا أسوأ الناس حظاء وما كان الرومي مع العربي الا قظا، لقد حالفهم فكانت كل المحالفة من تلك المحالفة ، فبعد ما نصرهم قاموا ينحتون في اناتهم ويتسمون بلادهم إربا إربا ، فيقول الانكليز ليس للعرب الا الحجاز فلنا العراق وفلسطين ويقول الفرنسيس لم تكن سورية يوما عربية فهي لنا منذ الازل والى الابد، وبعض الحوثة بالتونهم على الاحرار الذين يناوئونهم، فياخمية المسمى والامل، وهذه قصة الذئب والحمل ، الوفاء قد غاض والحق التوى ، فهل يرحمنا الذي على المرش استوى ، ولم يكتفوا بان بمالوا من قهرنا بل يريدون ان ينزلوا اليهود في عقر دارنا فيجملون مقاومة اليهود شغلا شغلا لنا لتصرف عنهم ويتيسر لهم اضمارنا واذلالنا. فلا ريب في تمدهم تفرق العرب لئلا تكون دولة عربية، نعم أنهم لا يريدون ان تكون هذه لامة دولة نجمها وراية ترفعها ، فلا تبقى لشهم لاني بقعة عربية يلجأ اليها من جورهم ومكرهم . فيرى الموت تحت أية راية في القرية أفضل من

المعيش في وطنه تحت راياتهم ، ان له صبراً جميلاً في البلاد الاجنبية ، ولكن لا صبر
له وهو غريب في الديار العربية ، فيلتمهم ثلاثاً وربما لمن في يأسه أرضاً لم تكن يوماً
لابنائها واذ ينظر الى نزاع أمته واقتراسها يودُّ أن تستقل أو تموت تحت اقتاضها
أبدأ بمكرون بنا متظاهرين بالمطف علينا وحجتهم في استعبادنا اننا قاصرون
ضعفاء ينبغي لنا وصاية وحماية . الأرض ارث لنا من آباءنا وأجدادنا ، ويريدون ان
يتزعموها منا ومن أولادنا ، واذا سألناهم: لماذا؟ أجابونا: نود تمدينكم وتأهيلكم للاستقلال،
فلو كان صدقاً ماية ولون الجاه وبالكاتب والاقلام لا بالكاتب والاعلام، الساعي الى الصلاح
لا يحتاج الى السلاح، فما هذه الحماية والنازل الحامية، وما بالهم يعدوننا أصدقاء هم وبدخلون
عليهم اسلحين؟ ألا يجوز أن يكون التمدين سلباً فيرشدوننا لآجر أو بأجرة ويتركون لنا
السيادة والحكم والحريية في أرضنا ويشاركوننا بتعميرها واستثمارها. لكنهم يريدون ان يملكوا
الأرض ويقرضوا النسل ليصير العالم فرنسوياً وانكليزياً. فاذا قلنا لهم: تريد ان نجتمع ونتحده
نؤلف أمة، يقولون لنا: لستم صالحين لذلك وأنتم جهاعات متفرقة لا زعماء لها يقودونها ولا
حكاه يرشدونها، والله يشهد ان تفرقنا وانقسامنا باف انهم ونهواتهم ، فلو نركونا وشأننا
لا صلحة ذات البين أو تنازلاً حتى يفوز خيارنا ويقر قرارنا. الامم جميعها أخذت نظامها
من الفوضى وطأنت من الثورة. وما كانت بالامر أفضل منا اليوم ولكنها تطورت وترقت
تدريجياً. أما لرجل فالحوادث تظهرهم ولا مود مرهونة لأزقاتها. ويقولون زورا وبهتاناً:
لستم أهلاً لان تستقلوا وتمدنوا فتقول لهم: ليس الاستقلال من الفلسفة ولنطق لأخذه
هناكم ، فلان ان مستقل مالم يستمد، والعصفور مستقل مالم يقفص . لكل حريته في
المعيشة ناعمة كانت أو خشية، ولكل المخلوقات حكمة في تدبير شؤونها وتحسين أحوالها.
فما البشر في أرضهم دون لنمل في قريتها، والنحل في خليتها، ولنا مدينة قديمة بها
اهتديتم فمن في غنى من مدنتكم . سنجدد معالمها ونرفع منارها ونضيف اليها
حسنات المدينة الحديثة، ان ماتكرونا هليه من مدنتك. بعد أخلاقاً ويثقل أعناقنا
هذا شرح التمهيد فلا تعتبر العرب بما تراهم أبصارهم وبصائرهم. وما كانت بلاياهم الامن
نقاطهم وتنازهم . فلن يكون لهم مقام بين الشعوب ماداموا متناهدين متباهدين.
فعل قلتهم في بدو هدهم كان لهم قوة بالحدودهم واليوم هلى كثرتهم لا تخشى لهم صولة ولا

٢٧٤ التطور السياسي والديني والاجتماعي بمصر [المار: ج ٢١٥]

تبنى دولة . ولعزيمهم وأبائهم لا يخضع أمير منهم لا مبر والعرب جميعهم أمراء وهذا صلب
التخاذل والتفائل بينهم وتقوية لأجانب عليهم . فلو فطنوا لتعاهدوا وتعاونوا وكانت لهم قدرة
ببإيامة عمر لابن بكره والا كان الروم بعد الترك شر خلف لشر حالف ، فهي أبو جعفر المنصور
اعرابياً فقال له : يا عرابي ! احمده الذي رفع الطاهون عنكم بولايتنا ، فقال له الأعرابي :
ان الله أعدل من ان يجمع علينا حشاً وسوء كيلة ، فلا يجمع بين ولايتكم والطاهون ،
هذا ما يقوله كل عربي للفرنيس والانكاز بعد رحيل النكبة وحلولهم . فليعلم العرب
ان حياة الامة بقوتها الادبية وان لا قوة الا بالاتحاد الوليد بن عبدالله بن طامة

التطور السياسي والديني والاجتماعي بمصر

لا ينتقل شعب من طور الى طور اعلى منه أو أدنى الا بسبب اليه ، مقدر في الواقع ونفس الامر
تقديرها تكون فيه المسببات بقدر الاسباب ، وسواء كان ذلك السبب بتأثير حوادث الزمان
وتقلب شؤون الاجتماع التي لا يشمر جمهور الشعب ولا يظن لما يترتب عليها من العواقب
النافعة أو الضارة ، وانما يشمر أفراد من بعض احداث التغيير في الاعمال والامارات فيحمدها
اناس ويذمها آخرون ، ولا يصل نظر الحامد ولا لئام الى ما سيكون من مستقرها في مستقبل
الايام — أو كان السبب بنظام . وضوع لغرض مقصود وقواد من الزعماء أنفوا الجميات
وحزبوا الاحزاب ، ونجحوا أنظمة التربية وبرامج التعليم — أو كان مذنباً بين هذا وذلك
أما الحال الاولى فهي حال تطور الشعوب الجاهلة التي ليس فيها زعماء حكماء
يتودونها في سببها على علم بسنن الكون وشؤون الاجتماع ، بل ينتقل اليها تغير الآراء
وتجدد الافكار والانظار من شعوب أخرى على سبيل الاتفاق أو على سبيل القصد
من تلك الشعوب ، كما هو شأن الشعوب القومية المستمرة مع الشعوب الضميمة التي
تطمع هي في بلادها فانها تعتمد احداث التغيير في عقائدها وآرائها وهادتها بالقدر
الذي تحمل به روابطها الاجتماعية وتفسد عليها مقوماتها وشخصاتها القومية ، فتصبح
مقيمة على نفسها ، ويمجد الطامع فيها ما يطلب من الالهوان له عليها آنا بعد آن .
قال الهورد صال-بوري ان مدارس المبشرين اول خطوة من خطوات الاستعمار
فهي تحدث في البلاد التي نشأ فيها ثقافاً وتفرقا بين أهلها يفقدون به وحدتهم

المنار: ج ٢١م ٥ [التطور السياسي والديني والاجتماعي بمصر ٢٧٥

فيكونون عوناً للمستعمر على أنفسهم - أو ما هذا مؤداه - وجاء في الجزء الكبير الذي خصصته مجلة [العالم الاسلامي] الفرنسية في مبحث «فتح العالم الاسلامي»^(١) ان المدارس التي أنشأها المبشرون في الآستانة وغيرها من البلاد المنيانية قد كان تأثيرها في حل المسألة الشرقية أعظم من عمل جميع سفراء لدول ومعتد بهم السياسيين^(٢) وأما الحال الثانية فهي حال الشعوب العلمية الراقية ذات الزعماء الحكماء الذين يعرفون أمراض الاجتماع وعلاجه، فيداون أمراضه ويصلحون خلقه، ويكون قصصهم يهديهم اليه العلم بسنن الله في خلقه، فيزداد كمالاً أو يعجزون عن ذلك فيعود الى الضعف والفساد وأما الحال الثالثة فهي حال الشعوب المنحزمة بشابقتها للجاهلة الساذجة من وجه وللملوية من وجه آخر، وهي الشعوب الضميعة ذات العلم التقليدي الناقص كاهل البلاد التي يثت فيها تعاليمهم وآراءهم فتبعها تقاليدهم وعاداتهم ففرق أهلها شيعاً وأحزاباً مختلفة متدابرة يعد كل منها الآخر ضاراً للبلاد ومفسداً لأهلها، وتكون فيها زعماء بالكلف والتعزب يعملون للكسب والشهرة لا للمصلحة العامة بل يجاهدون من هم أولى بالزهامة وأقدر على النهوض بالأمر منهم الى ان يغلب فريق منهم الآخر باسمالة الرأي العام اليه. ليس المقام مقام بيان شؤون كل شعب من هذه الشعوب على التفصيل وإنما المراد من هذه المقدمة تذكري القاري بأن مانعنه بالتطور هو انتقال الامة من طور الى طور إنما يكون سير اجتماعي منه ما هو صناعي كالذي يكون بسعي زعماء الامم الرقية، ومنه ما هو طبيعي ظاهر لبعض أهل البصيرة والعلم، أو خفي لا يعلم به الا بعد ظهور أثره كتفجر الينابيع بعد تجمع الماء بالسريان في باطن الارض، أو بين الجلي والظهي كسير الظل ثم ان سير السنن الاجتماعية الذي يكون به التطور قد يكون بطيئاً لا ينتهي الى غايته الا في عدة أجياله وقد يكون سريعاً بما يحدث في العالم من كبر أحداث الاجتماع، كظهور الاسلام في العرب الاميين، الذي أحدث أكبر انقلاب اجتماعي في جميع العالم القديم فكان له ذلك الاثر العظيم في آسية وأفريقية وأوربة باحياء موات العلم ودارس الحضارة، وكالثورة الفرنسية التي زلزلت ما كانت عليه دول أوربة من الاستبداد والاستعباد، وكحرب المدينة العامة الاخيرة التي زلزلت جميع الامم والشعوب أشد زلزال، ونخفضت

(١) هو جزء شهر نوفمبر سنة ١٩١١م ونشرت ترجمة المقالة في المنار بعنوان «المنار على العالم الاسلامي» في ارجح المجلد ١٥ سنة ١٣٣٠هـ من المنار

٢٧٦ التطور السياسي . تأليف الوفد والمظاهرات الوطنية | المنار : ج ٥ ص ٢١٣

العالم البشري مخضاً لم يتم تكوين زبده الى الآن وجميع الامم والشعوب شاخصة الابصار متلعة لاعناق ، صبيحة الاسماع ترتقب النتيجة التي يجتهد اولوا الاطماع المتداعون على اقتراس الشعوب الضعيفة كتداعي الجباع الى القمصاع في جعلها شرب بلاء أصيب به البشر ، بمد أن ملاؤ الارض صياحاً بأنهم ما حاربوا الا لتحرير البشر كانت مصر مستقلة استقلالاً داخلياً تاماً تحت سيادة الدولة العثمانية - التي لم يكن لها أدنى تدخل في ادارة مصر الداخلية - وكانت أوربة كلها مصدقة على هذا الاستقلال - ولها في البلاد معتمدون سياسيون ، وكان الاحتلال الانكليزي الذي وقع يطلب أمير البلاد ورضاء الدولة صاحبة السيادة موقفاً لم ينازع في استقلال البلاد ولا في سيادة الدولة عليها ووعدت الدولة بعوداً رسمية كثيرة بأنه لا بد من الجلاء عنها وتركها لاهلها ، ولكنها في أثناء الحرب أعلنت الحماية عليها ، وجعلتها ميداناً حربياً وأباحت سلطتها العسكرية أن تتصرف فيما تصرف للملك ، فلما عقدت الهدنة هب المصريون للمطالبة باعتراف انكلترا وسائر الدول - التي تمتد الصالح بين الامم - لها بالاستقلال التام وتألف وفد منها لاسمي الى ذلك اختار سعد باشا زقزلوق الشهير بصدق الوطنية والشجاعة الادبية وقوة المارضة وسمة المعارف في القوانين رئيساً له ، وأخذ الوفد رؤثوق كثيرة من الالوف من المصريين الذين يؤمنون الرأي السام المصري باستنابته عنهم كاعضاء الجمعية القومية ومجلس المديرات والبلديات وسائر طبقات الاهالي ، ووطنق بمخاطب بذلك الحكومة البريطانية والرئيس والسون وسائر الدول بواسطة وكلائها السياسيين . ثم عقد الوفد اجتماعاً عاماً في دار وكيله حمد باشا الباسل خطب فيه الرئيس والوكيل وغيرهم في بيان حقيقة المسألة لمصرية وما تطالبه البلاد من الاعتراف لها بالاستقلال ، وأراد الرئيس عقد اجتماع آخر في داره فتمتعه الساطة العسكرية البريطانية من ذلك ثم اعتقله مع الوكيل المذكور وعضوين آخرين من أعضاء الوفد هما محمد باشا محمود ساجان واسماعيل صدقي باشا وأرسلتهم الى مالطه فاجت الامة المصرية لذلك هاجا وقتت بمظاهرات عظيمة في القاهرة والاسكندرية وغيرها من المدن ، وهاج الفلاحون وقبائل العرب باز وقطمو اسلاك البرق وقاموا باخطوط الحديد السكك ودمروا بعض محطاتها حتى صار الهياج ثورة عامة ، واستماتت وزارة حسين رشدي باشا احتجاجاً على مصادرة

[المنار: ج ٢١] التطور السيامي والديني والاجتماعي بمصر ٢٧٧

الحرية الشخصية بنفي من ذكر من أعضاء الوفد وتنفرد على السلطة تأليف وزارة جديدة. وكان حسين رشدي قد طلب قبل ذلك كله من الحكومة الانكليزية الاذن له ولمدلي باشا وزير المعارف بالسفر الى انكلترا لمفاوضة اولي الامر فيها بما سيكون عليه شكل الحكومة المصرية بعد الحرب التي عاوت البلاد المصرية وحكومتها فيها السلطة البريطانية اعظم مما اوتت زها مليون شاب مصري ساعدت السلطة الانكليزية العسكرية على الاهمال الحرية في فلسطين حتى انها كانت تسمى الحملة التي فتحت القدس الشريف «الحملة المصرية» وهذا الفتح هو الذي قال فيه المستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية انه آخر حرب صليبية. وساعدتها كذلك في العراق وفي مواضع اخرى وتاهيك بالمنافع اناية بانواعها. ولكن الحكومة الانكليزية ارجأت طلب الوزيرين أولا ثم ارادت أن يسافرا قايما الا أن تأذن للوفد المصري بالسفر أيضا فصدر الامر من لندن بالاذن لها ولن شاء من المصريين ومنهم الاربعة المعتقلون في مالطة فلما ظهر المصريون بالاذن لو قدومهم بالسفر نظموا مظاهرات اخرى اشترك فيها جميع طبقات الاهالي حتى النساء المحدرات فكن يطنن بسياراتهن ومرجاتهن المزينات بالاعلام والرياحين وبهتفن مع المتفنين: لتحي مصر، ليحي الاستقلال التام، ليحي سعد باشا زقلول، ليحي أعضاء الوفد المصري الخ وقد حازت السطة العسكرية البريطانية منع المظاهرات الاولى والآخره ثم تفلح حتى انها اطلقت رصاص البنادق والمدافع لرشاة مرارا كثيرة على المتظاهرين فلم يثبتم ذلك عن تكرار المظاهرات بل منهم من قاوموا الجنود وقتلوا منهم كثيرين، ولكن من قتلهم الجنود أكثر باعظم وقد قدرت السلطة من قتل في الشوارع بزهاء الف نسمة منهم الكبير والصغير. وليس غرضنا من هذه الخلاصة بحري تاريخ هذه الحوادث ولا وصفها وصفا شعريا لاجل التبرؤنا غرضنا ان نجعلها مقدمة لما هو تصدنا بالذات الترتب عليها من التطور الديني باتفاق المسلمين والتبطل وجمل الجامع لازهر معهم السياسة الاكبر في مصر والتطور الاجتماعي بدخول النساء في مظاهرات السياسية والقائمين الخطب في الشوارع والاسواق فهذا أهم ما يعني به المنار

دولة الكلام المبطلتة الظالمة

ان العقول المتبادر من حكمة الله في نعمة النطق ومزية الكلام التي ميز بها الانسان وفصله من سائر أنواع جنسه الحيواني هو انها التعبير عما في النفس من العلم ليتعاون الناس بإفشاء كل بما في نفسه الى غيره على تكميل علومهم وتحسين أعمالهم . ولكن الاشرار منهم كفروا هذه النعمة بما أساؤا من استعمالها في الكذب والافتك والخلابة حتى قال بعض الاذكياء ان حكمة الكلام وفائدته إخفاء ما في النفس وصرف الاذهان عن الحقائق . وقد أجمع الناس على ما هدت اليه الاديان وقرره الحكماء من مدح الصدق والصادقين ، وذم الكذب والكاذبين ، الا ما قبل في حال التعارض بين مفسدة الكذب في مسألة معينة ومفسدة أخرى أكبر منها كالكذب على صائل ظالم يريد قتل بري محترم الدم بما صرفه عن قتله بانكار المكان الذي يوجد فيه أو غير ذلك ، والاسلام يهدي في مثل هذه الحال الى التفصي من الكذب بالتمريض ، ففي حديث عمران بن حصين في البخاري « ان في المعاريف مندوحة عن الكذب » ولكن كثيرا من الناس ينظّمون في سلك هذا الاستثناء ما ليس منه كالتعارض بين الصدق وما يخشونه من قوت بعض شهوراتهم وطماعهم غير المشروعة به فيستبجحون الكذب للتوصل به الى تلك الشهوات والمطامع الشخصية أو القومية المصوص وقطاع الطرق والشطار المحتالون وشهداء الزور وأصحاب الدعاوي الباطلة ووكلاؤهم كل أولئك وأمثالهم يكذبون لاجل مطامعهم الشخصية . ورجال السياسة من الامراء والوزراء والسفراء ومن دونهم من الوكلاء السياسيين وكتابهم وجواسيسهم — كل أولئك يكذبون لاجل مطامع دولتهم ومنافع أممهم ، والفريقان يذمان الكذب مع الدامين ، ويمدحان الصدق مع المادحين ، ولا يعترف أحد منهم بأنه يكذب لدفع الضرر عن نفسه أو قومه أو لطلب النفع لهم كما يعترف من كذب تصريحا أو تعريفا لدفع الصائل الظالم عن البري . الا ان يكون الاعتراف من بعض المشتركين في هذا الأثم لبعض أولئك يعلم حالهم ممن له صلة بهم من عجيب أمر الانسان ان الكذب والافتك وقول الزور وطمس معالم الحق وتشديد هروح الباطل لم يكن مقصورا على المتكالبين على الشهوات الدنيوية ، والمطامع المالية

والسياسية ، بل تجارزهم الى رجال الادبان ورجال المذاهب من أهل الدين الواحد، وهم أجدر بالصدق والالتزام الحق، ولكنهم جعلوا الدين الذي موضوعه الهدى وتزكية النفس بالاعتقاد الصحيح والفضائل وسيلة للمال والجاه، فصاروا كطلاب المنافع الشخصية بالسرقة والنصب ونحوهما، وطلاب المنافع السياسية بالبغي والمدوان على الامم والشعوب وأعجب أمر هؤلاء وأغربه أن فيهم أناسا يتمدون الكذب على خصوصهم، وأستباحة أفش ما حرمة دينهم في سبيل عداوتهم ، لا يتفنون بذلك مالا ولا جاها بل يقصدون التقرب به الى إلههم ، معتقدين انه يرضيه كل ما فيه إيناء أعدائه، وان كان من الباطل والشر الذي حرمة على أبنائه وأحبابه في معاملة بعضهم لبعض. ومن كان يظن في ربه وإلهه حب الباطل والشر والرضاء بهما فكيف يطعم منه عدوه بالتزام حق أو همل خسر، أولئك الذين يقولون أن المقاصد والغايات الحسنة ، تبيح الوسائل المحرمة والمبادي السيئة . وان الباطل قد يوصل الى الحق ، والشر قد يؤدي الى الخير، أي أنهم يختارون ان يكونوا مبطلين أشرا مجرمين في الحال ليصروا أخيارا في المآل .

اذا كان علماء الادبان وأولياؤها ، وشيخ المذاهب وأنصارها ، يؤلفون الكتب ويدونون الاسفار، في تضليل المجادلات والمشائبات، ليؤيد كل فريق منهم ما يوصف به وينتمي اليه منها، فهل يكتر على عبيد المال، وعشاق العظمة والجاه، ومنهومي الهذات والشهوات، ومفتوني السلطة والسيادة، ان يقبلوا جميع الحقائق، ويستحلوا جميع المحرم، في سبيل التمتع بتلك اللذات، والعلو في تلك الدرجات، والاشراف على الامم والشعوب بالامر والهي ، وغير ذلك من التصرف والتشريع الذي هو شأن الرب عز وجل ؟

ان دولة الكلام المؤيدة بمحافل الكذب والزور والبهتان، والافتك والافتراء، والاخلاق والاختراق، والحلابة والتزوير، والتليس والتدليس، تعرق بترقي الحضارة وتندلى بتدليها، وتنسم بانساع دائرة العلوم والمعارف وتضييق بضيقتها، فهي مساوقة لدولة الاحكام مؤيدة لها، الكذب شر الرذائل هي الاطلاق، فهو يفسد الاديان والتواريخ، ومزيب الثقة بين الافراد والجماعات، ومولد الفتن والحروب بين الامم، وقلم تستغنى رذيلة من الرذائل أو فتنة من الفتن عن شدازرها بالكذب أو أحد جنوده، وحملة بنوده، وما ألبأ الناس الى الكذب على شدة قبحه ووخش ضرره والاجماع على ذمه الاعداء المتناصف بينهم وترك تحكيم العدل

فما تعارض فيه منافهم، وتنازع منازعهم، والأصل في ذلك ان الضعيف هو الذي يكذب على القوي الذي لا ينصه أولا بواتيه، والقوة والضعف أنواع شتى، فكم من قوي في شيء ضعيف في غيره، فاذا رأيت السيد يكذب على عبده، والمخدوم على خادمه، والامير على السوقة، فلا تظن ان هذا جاء على خلاف الأصل، فان في هؤلاء السادة المخدومين، والافراد الحكيم، ضغف في الاخلاق وقبائح الاعمال، فيتمحرون دائما عن خدمهم واتباعهم فلا يجدون وسيلة لذلك الا الكذب والتليس والتعويبه فيلجئون اليه ما قرين الحكومه المستبدة ^{شيم} الشعب الضعيف الخاضع للكذب والرياء حتى يصير ملكة له يفسد عليه أمر دينه ودنياه، وقلا يحتاج رجال هذه الحكومه الى الكذب على شعبهم المسكين لانه خاضع لكل ظلم قابل لكل ضيم، وانما يكذب الضعيف على القوي الخائر الذي لا يرضى بالحق، ورب قوي في شيء ضعيف في غيره فيكذب فيها هو ضعيف فيه. ومن هذا النوع حكومات الامم القوية بالعلم والنظام والاحزاب السياسية، فكل حكومة من هذه الحكومات تكذب على نواب أمتها وروساء أحزابها في كل ما تعلم أنه لا يرضيهم من أعمالها الاستعمارية وسياساتها الخارجية وغير ذلك. وبستيم ذلك الكذب على أهل المستعمرات والباس كثير من الاعمال ثوب زوره والكذب على أهل العلم والرأي لا يرجي ان يروج الا بلبس الحق الذي تخشى منة ظهوره، وكذلك كذب الحكومات القوية بالعلم والاستعداد الحربي بعضهم على بعض — فلذلك صار الكذب فنا من أدق الفنون وركنا من أركان السياسة

وليعتبر القاري في ذلك بما نشرناه من قبل من أقوال أقطاب سياسة الحلفاء وكبار وزراءهم في الاسباب الحامية لدولهم على الحرب وأساسها حرية الشعوب واستقلالها، ومن خطب الرئيس ونسن في ذلك ووجوب تعميمه في جميع الامم والشعوب في الشرق كالعرب ومن قواعده الاربع عشرة التي وضعها لبناء صرح الصلح العادل حثيا. فقبلها أنتحار بون. ثم (يُعتبر) بمعاودة الصلح الكبرى التي ننشر خلاصتها في المنار وانتقله البرقيات والجرائد الاوربية من التنازع والمساومة بين الحلفاء على اقسام البلاد التي نص في معاهدة الصلح على الاعتراف لها بالاستقلال المطلق مع اشتراط قبول المساعدة التي ترضها بنفسها من الدولة التي تختارها لمساعدتها وما ذكر لفظ المساعدة الالحملة صلا لا متلائم البلاد واستعباد أهلها باسم جديد يزعمون ان معناه لا يتنافى الاستقلال المقرر والقواعد التي بيني عليها، واذا شئت تفصيل هذا الاجمال فانظر ذلك المقال الذي كتبناه منذ بضعة أشهر في (الاستقلال) وتعدرنشره وقتئذ في كل من مصر والشام..